أعظم ملاحم الهند الخالدة

المهابهاراتا والرامايانا

ترجمة وتقديم: سوريال عبد الملك



المهابهاراتا والرامايانا

ترجمة وتقديم : سوريال عبد الملك



الاخراج الفني : سحر رمضان

مقدمة أولى

كيف دخلت الهند قلبي

عزيزي القارىء :

في اوائل عام ١٩٨٠ كنت مكلفا بكتابة برنامجين خاصين للاذاعة ، أخدهما عن « المهاتما غاندى » والآخر عن « رابندرانات طاغور » ، ولم تكن قراءاتى عن الرجلين كافية لتناولهما تاريخيا ودراميا ، فكل ما كان لدى عن سيرة المهاتما هو انه كان أصغر ابناء رئيس وزراء احدى الولايات الهندية الصغيرة قبل الاستقلال .. درس القانون فى انجلترا ، لكنه عندما وقف يترافع لأول مرة أمام المحكمة تملكته الرهبة والخجل .. الى حد انه قرر فى نفس اليوم ان يهجر المحاماة ، وقد وجد البديل فى عرض قدمه صديق للأسرة لكي يعمل غاندى فى جنوب افريقيا مستشارا قانونيا لفرع الشركة التى يملكها ذلك الصديق ، وفى جنوب افريقيا فوجىء المحامى الشاب بمئات الآلاف من مواطنيه الهنود

يعملون فى أحط الأعمال .. ويعاملون معاملة عنصرية لا انسانية على أيدى سلطات الاحتلال البريطـاني ، عند ذلك نذر الشـاب كل حياته للقضية الأكبر ، فراح يعلم مواطنيه حقوقهم وكيف يدافعون عنها .. وذلك بانشـاء المزارع الخاصـة .. ومزاولة الحرف التى تغنيهم عن عبودية العمل عند الانجليز ، وبعد أكثر من عشرين عامـا عـاد غانـدى الى بـلاده بفلسـفتـه الفريـدة « الساتيا جراها » ، وهى فلسفة تدعو الى طرد المستعمر بقوة الحق واللاعنف ، ولم تمض الا سـنوات قليلة حتى صار المحامى الخجول رجلا آخر تماما .. زعيما مقدسـا .. وقدوة محركة رائعة لنحو ثلاثمائة وخمسين مليونا هم سكان شبه القارة الهندية آنذاك ، يغزل قطن بلاده وينسجه بيديه ليكسو نفسه بسروال وشال يكشفان من جسده أكثر مما يستران ، يذرع الهند طولا وعرضـا على قدميه الحافيتين ، ساحبا عنزته أينما راح ليقتات بلبنها ، داعيا الى مقاطعة البضـائع الانجليزية والى التوقف عن كل أشكال التعاون مع المستمر ، بهذه الحركة السلمية الذكية التى لم يعرف التاريخ لها مثيلا من قبل أو من بعد .. حمـل الاستعمار عصـاه وأشلاء خبثه وعنجهيته .. ورحل عن الهند فيما يشبه المعجزة ، فانطلق الهنود بتعاليم المهاتما وقيـادة رفاقه الأفذاذ يبنون هندهم الجديدة .. على أسس راسخة من معطيات الفكر والعلم والديموقراطية والعدالة .. تلك التى وصلت بهم اليوم الى دولة زراعيـة صناعية مرموقة .. تنتج من الغـذاء ما يكفي سكانها الذين زادوا عن ثمانمائة مليون . وتصدر منتجاتها الصناعية المتقدمة الى عشرات الدول بما فيها الدول الكبرى ، وتنضم بانجازات علمائها الى قائمـة الدول النووية ، ثم تطلق أقمارها الصـناعية الخاصة لترتاد الفضاء .. من أجل مزيد من التقدم والرخاء .

وكذلك بالنسبة لتاجور ، لم أكن أعرف عن حياته وأعماله سوى أنه كان شاعرا ، قاصا وروائيا ، مؤلف أغان وأناشيد ، ملحنا وعازفا وموسيقارا ، رساما ، ممثلا ومخرجا وكاتبا مسرحيا ، ناقدا ، مصلحا دينيا واجتماعيا واقتصاديا ، مدافعا عظيما عن المنبوذين والملونين والمضطهدين فى كل أرض ، مفجر أعظم ثورة تعليمية تربوية فى تاريخ الهند والعالم ، معلما فى رياض الأطفال ، ثم محاضرا فى الجامعة التى أنشأها بالمال الذى ورثه عن أبيه ، وأول أديب من الشرق يحصل على جائزة نوبل بعد انشائها باثنى عشر عاما ، أسطورة يسعى الى لقائه علماء الأرض وفلاسفتها وملوكها ، مغنيا يغنى أشعاره أمام عشرات الشعوب التى زارها .. تراتيل عشق مذهل للكون والخالق والانسان ، من حفلاته الغنائية حفلتان شهيرتان شهدهما الشعب المصرى عام ١٩٢٧ ، أولاهما بالاسكندرية والثانية بحديقة الأزبكية فى القاهرة ، حيث وقف الشاعر الفارع بجلبابه الهندى ولحيته البيضاء المهيبة وشعر رأسه المرسل .. ليغنى أمام آلاف من شعب مصر وفنانيه وحكامه .. بحضور أحمد شوقى وحافظ ابراهيم .. وراح يرتل أشعاره بصوته الشجى العميق .

***

لكن كل هذا ليس الا فتات معرفة بغاندى وتاجور ، لذلك قررت أن أزور مكتبة السفارة الهندية بشارع طلعت حرب ، وبينما أنا هناك أقلب فى زحام الكتب لاختيار أفضلها .. لمحت شابا بلون أبناء صعيدنا .. بسيط المظهر هادىء الحركة .. يقلب هو الآخر فى زحام الكتب ، اقترب منى بابتسامة صادقة وصوت خفيض ، من خلف زجاج نظارته الطبية البيضاء كانت تطل عينان مفعمتان بالود والذكاء ، بانجليزية آسيوية عرض على

المساعدة ، فوفر على كثيرا من الجهد والوقت ، وبعد اتمام اجراءات الاستعارة مع امينة المكتبة دعانى الى كوب شاى فى مكتبه ، لم أكن اعرف بعد من يكون ذلك الشاب الرقيق ، تبعته الى الطابق التالى ، وفى مكتبه الأنيق عرفت أنه « مستر شاشانك » المستشار الثقافى بالسفارة الهندية ، طال الحديث بيننا وتشعب لأكثر من ساعة ، وقبل أن يودعنى كان قد اهدانى من مكتبته الخاصة بحجرة مكتبه عديدا من كتب الشعر والقصة وشرائط الموسيقى الهندية ، وطلب منى أن أهديه نسخة من البرنامجين بعد كتابتهما .. ثم نسخة مسجلة على شريط بعد اذاعتهما ، وقد حققت له طلبيه بعد ذلك .

وفى لقاء آخر بمكتبه فوجئت به يقدم الى نسخة من برنامجى مترجمين الى اللغة الانجليزية ، ويطلعنى على نسخة أخرى منهما موجهة منه ومن السفير الى وزارة الخارجية الهندية .. مصحوبة بشريط آخر يحمل تسجيلا للبرنامجين لاذاعتهما من القسم العربى باذاعة كل الهند فى نيودلهى ، ثم قدم لى بطاقة دعوة لحضور الحفل السنوى الوشيك الذى يقيمه السفير بمناسبة عيد الاستقلال .

وفى الحديقة الساحرة المحيطة بقصر السفير المطل على نيل الزمالك قدمنى المستشار الثقافى الى السفير « مستر مينون » .. رجل فارع جذاب المهابة فى نحو الخمسين ، شعر رأسه كثيف مرسل ناصع البياض ، تتفجر قسماته حيوية وشبابا ، الابتسامة فى أعماق عينيه تحتضن مئات المدعوين ، والى جواره كانت تقف زوجته تشاركه استقبال الضيوف من كل أجناس الأرض ، سيدة سمراء مشرقة فى نحو الأربعين ، ترتدى السارى الهندى بألوانه العديدة الأخاذة .. ودوذة البسمات آسرة النظرات صدقا وترحيبا بزحام القادمين .

وتكررت دعوتى لحضور أعيادهم القومية ، وذات حديث اكتشفت اهتمام السفير ومساعديه وزوجاتهم بالمسرح فدعوتهم لحضور العديد من العروض المصرية على مختلف مسارح القاهرة .. حيث استقبلهم مديرو هذه المسارح بحفاوة واهتمام بالغين ، وقد اسعدنى بقدر ما أدهشنى اهتمام السفير ومن معه واعجابهم بالمسرح المصرى ، الى حد انهم بعد كل عرض كانوا يلتقون بمديرى الفرق والممثلين والممثلات لقاء حارا ويلتقطون معهم الصور التذكارية ، بل ان السفير وزوجته دعوا بعضهم الى حفل استقبال خاص تعبيرا عن أعجابهما ، مما كان له أثر كبير بعد ذلك فى توثيق الروابط وزيادة التبادل الثقافى بين مصر والهند .

***

وفى ديسمبر من نفس العام فوجئت مفاجأة سارة لم تكن تخطر ببالى ، فقد قدم لى السفير ومستشاره الثقافى دعوة رسمية لزيارة الهند مع تذكرتى الذهاب والعودة .

هكذا وجدتنى أخترق الفضاءات الآسيوية لأول مرة فى طريقى الى نيودلهى ، وهكذا قدر لى أن أصحو هناك على حلم ساحر له بعض ملمس الحقيقة .. فى تلك البلاد الشاسعة الفاتنة التى ظلت لآلاف السنين تنسج للبشرية من ملاحمها حبائل الحب والحكمة .. بلاد الهيملايا بقممها الثلجية خلف ملاعب السحب .. بغابات الزهور على المرتفعات الممتدة الى أحضان الأفق ، بلاد ما لا يحصى من المعابد والكنائس والمساجد والمقابر ، حيث تنداح اغنيات الرعاة ملء الأدغال والتلال والوديان ، حيث نساء القرى الجبلية حوريات صاعقات الجمال .. كأنهن تجسدن لتوهن من أفراح الأساطير ، بلاد المعلم العظيم بوذا .. ذلك الأمير الشاب الوسيم الذى هجر جمال قصره وزوجته وطفله ليقضى عمره جوابا حافى القدمين شحاذا باحثا عن الحقيقة والحكمة ،

بلاد الامبراطور البوذى العادل « أشوكا » .. والسلطان الفيلسوف « اكبر » والسلطان العاشق حتى الموت « شاه جاهان » وشعراء الانسانية والحب المذهلين « كاليداسا » و « فالميكى » و « تاجور » و « أسد الله غالب » .. وبقايا المهاراجات والمنبوذين والسحرة والمجذومين والفقراء .

توالت بى الأيام هناك فى رحلات مبهرة الى مراتع للجمال متتالية متلاحمة .. كأنها تصل سحر الأزل بأحلام الأبد .. فى دفء سبعمائة مليون من البشر الطيبين .. متعددى الألوان واللغات والثقافات والتقاليد والعقائد .. منتشرين فيما بين أمطار وثلوج الهملايا شمالا عند حدود التبت والصين ونيبال .. وجنوبا حتى قيظ خط الاستواء فى عرض المحيط الهندى .. عبر سبع وعشرين ولاية مترامية السهول والغابات والصحارى .. لكل منها برلمانها المنتخب .. وحكومتها المحلية ممثلة لحزب الأغلبية البرلمانية .. حتى لو كان ذلك الحزب معارضا لحزب الحكومة المركزية فى نيودلهى ، تنوع غريب فى كل شىء .. لكن اطارا عاما متناغما يجمع كل صور التنوع ويثريها .. ذلك الاطار هو الديموقراطية التى تحتضن كل الهند تاريخا وحاضرا ومستقبلا ، تستطيع أن تلمس هذا فى لقائك هناك بالمثقف والفلاح والعالم وعضو البرلمان والعاملة فى مزارع الشاى ، وتستطيع أن ترى الصورة أوضح فى المسئولين الكبار .. فى عملهم الدءوب .. وانتمائهم القومى .. وبساطتهم الذكية شكلا ومضمونا وممارسة .. ونظرتهم الفلسفية الشاملة للحياة والانسان .

عزيزى القارىء ...

ولا استطيع ان اصف لك كل مشاهداتى فى تلك البلاد الساحرة ، فان ذلك يحتاج الى اكثر من كتاب ، لكنى استطيع ان

أقول فى ايجاز انها بلاد الأساطير والمعجزات معا ، فمئات الملايين هناك لا يأكلون اللحم طاعة لعقيدتهم الدينية .. بينما تقدموا فى العلوم حتى امتلكوا وفجروا قنبلتهم الذرية ، وهم يحافظون على تراثهم ويتمسكون بتقاليدهم المغرقة فى التقدم .. بينما يتفوقون على هوليوود فى صناعة السينما ، الشعر هناك مزدهر جنبا الى جنب مع ازدهار صناعة الطائرات والغواصات والانسان الآلى ، خليط غريب متآخ من القديم والحديث .. وتنوع عريض متكامل من هذا وذاك .

وكما انك لا تستطيع أن تنسى زيارتك الأولى لأهرامات الفراعنة .. فانى لا استطيع ان انسى زيارتى الأولى لضريح « ممتاز » فى « تاج محل » على شاطىء نهر « جامونا » ، وهو معجزة جمالية .. ترتع أضواء لآلئها فى جنات مترامية من من الخضرة والورود ، بناها السلطان العاشق شاه جاهان لحبيبته ممتاز منذ عدة قرون ، ولقد كان مدهشا بقدر ما كان رائعا أن وثائق هذا البناء المعجزة تقول : ان حاكم مصر فى ذلك الزمان أرسل وفدا من خيرة مهندسيه الى سلطان الهند .. ليشاركوا فى بناء الضريح .. حاملين معهم هدية من والى مصر الى السلطان الحزين .. قنديلا مصريا رائع الجمال .. ما يزال مضاء هناك داخل الضريح مع عشرات القناديل .. كامتداد لعلاقات الصداقة والتعاون التى تربط مصر بالهند منذ آلاف السنين .

***

وقبيل انتهاء زيارتى للهند أسعدنى الحظ بأن دعيت الى حفل عشاء فى بيت رئيسة الوزراء الراحلة انديرا غاندى .. وبأن أجلس اليها على انفراد فى حديث ودى متشعب .. استطاعت خلاله انديرا ــ بثقافتها الواسعة وذكائها الحاد ــ أن تجسد لى

الهنـد منذ عصـور الآريين الأوائـل الى عصر والدهـا العظيم نهرو .. مرورا بآلاف السـنين المتخمسـة بملاحم الأزدهـار والانكسار.. والانتصار على عشرات الجحافل من الغزاة واللصوص والقراصنة .. الى أن انتزعت استقلالها المدوى عن انجلترا بعد عامين من نهاية الحرب العالمية الثانية ، وعند ذلك امتلكت الهند ارادتها .. فبعثت كل ما فى مناجم تاريخها من علم وفن وحضارة، وأصبح لها جيشـها الجرار من العلمـاء والباحثين والمخترعين والفنيين .. الذين يصنعون اليوم لبلادهم كل ما تحتاجه من الابرة الى سفينة الفضاء .. وينتزعون من الأرض غذاء يكفى شعبهم الذى يزيد الآن عن ثمانمائة مليون انسان ، لقد كان العظيم نهرو صادق الحلم والارادة والتخطيط والوسيلة .. عندما وقف فى الميدان الكبير بعد ساعات من الاستقلال .. يخطب فى ملايين الهنود المنتصرين قائلا : أيها الاخوة المواطنون الأعزاء .. ان الهند اليوم على موعد مع القدر .

***

وعدت من رحلتى الى تلك البلاد الرائعة ..

بعد أشهر قليلة نقل « المستر مينون » من القاهرة ليمثل بلاده فى اليابان ، ورقى المستر « شاشانك » الى وزير مفوض بسـفارة بلاده فى اسـلام ابـاد ، وحـل محلهمـا السـفير « جونسا لفس » والمستشار الثقافى « فيرما » ، ممثلان رائعـان آخران للهند فى مصر ، وكان عملى لسنوات طويلة فى التربية والتعليم الى جانب الكتابة .. قد ارهقنى صحيا .. واعاقنى عن انجـاز اعمال ادبية تلح على ان اكتبها .. فقررت أن أستقبل لاتفرغ تماما للأدب ، لكنى ما ان هدأت بضعة أشهر الى قلمى واوراقى .. حتى استدعانى سفير الهند ، وبود آسر حملنى مسئولية المجلة

الثقافية التى تصــدرها السفارة باللغة العربية فى القاهرة باسم « صــوت الشرق » بعد أن شاء رئيس تحريرها أن يهــاجر الى الولايات المتحدة .

كان قبولى لمسئولية المجلة قاسـيا على نفسى وقلمى .. لكن الرفض كان قاسيا أيضا على قلبى ، وهكذا وجدتنى رئيسا لتحرير المجلة لفترة امتدت أربع ســنوات .. نهلت خلالها الكثير من الثقافة الهندية .. وقدمت للقارىء العربى كل ما استطعت أن أقدمه منها ، وكان من بين العديد الذى أغرانى بترجمته هاتان الملحمتــان اللتــان أقدمهمــا فى هــذا الكتــاب : « المهابهاراتا » و « الرامايانا » ، سعيدا بأن تشاركنى عزيزى القارىء فيما تضمانه من أدب وحكمة .. وما تفيضان به من حب غامر للانسان .. ومن اشــفاق وأسى على تخبطه فى حبــائل الشهوة والجهــالة والجشع .. واستجابته لأصــداء ما تموج به غابة الحيــاة من وحشية وعواء وعويل .

مقدمــة ثانيــة

عزيزى القارىء العربى :

أشعر بسعادة غامرة اذ أقدم لك هــذه الترجمــة الموجزة المكثفة .. لأطول واقدم وأعظم الملاحم فى تاريخ العالم ، ولعلهما الملحمتان الوحيدتان اللتان قدمهما المسرح الأوربى بميزانيــات مالية وامكانيــات فنيةوتكنولوجيــة خيالية ، وكان عرضهما فى السنوات الأخيرة حدثا فنيا عالميا شغل عواصم العالم مشاهدين وكتابا ونقادا واعلاما .

وعلى الرغم من أن زمن أحداث كل من الملحمتين يرجع الى ما قبل ظهور الأديان السماوية .. الا انهما تحملان من كنوز الفكر والحكمة ما يكفى الجنس البشرى لأن يحيــا الى آخر الزمان متحابا متآخيا .. نابذا للشهوات الشريرة التى تقوده الى الحرب والقتل وتدمير الحياة .

ولقد وجدت أنه فوق طاقتى كفرد أن أقدم ترجمــة كاملة للملحمتين الأصليتين ، اذ ان كلتيهما قد كتبتا فى الأصــل شعرا بأقدم لغات الهند « السنسكريتية » ، وتتألف الملحمــة الأولى من مائة ألف بيت ، والثانيــة من أربعة وعشرين ألف بيت ، ولذلك فانى أقدم هــذه الترجمة عن أكثر من ترجمة انجليزية نثرية .. قام بها كبار أدباء الهند قدماء ومعاصرين .. ليقدموا للعالم أحد وجوه حضارتهم الموغلة فى الحكمة والقدم .


المهابهاراتا

نبذة عن

المهابهاراتا

انتهى الشاعر العظيم « فياسا » من كتابتها عام ١٥٠٠ قبل الميلاد فى مائة الف بيت من الشعر ، اى ثمانيــة اضعاف الالياذة والأوديسا معا ، وقد بذل الباحثون الهنود جهودا مكثفة للوقوف على إصل الملحمة وتطوراتها ، فتوصلوا الى انهــا ظهرت أول ما ظهرت كقصة شعرية أصغر كثيرا من حجمها الحــالى .. وذلك قبل ظهور المسيحية بأكثر من خمسة عشر قرنا من الزمان ، كما توصلوا الى ان كثيرا من مواقع احداث الملحمة لايزال يحمل نفس الأسماء فى اجزاء متفرقة من شــمال الهنــد .. حيث ما تزال المهرجانات التذكارية تقام كل عام .. احتفالا بذكرى الشخصيات الخيرة فى الملحمـــة ، واذا قدر لك ان تزور هــذه المناطق فستجد هنــاك من يقول لك (هنــا قضى آل بانداف ســـنوات النفى) و (فى هذه الغابة قضوا أصعب أيامهم) و (هذا هو النهر الذى عبرته الأسرة الملكية الهاربة) .

وتقول بعض الأبحاث ان الملحمـة ـ يوم انتهى فياسـا من كتابتها ـ لم تكن تزيد عن بضع وعشرين ألف بيت من الشعر ، ثم جاء شعراء آخرون فى مراحل زمنية متباعدة فأضافوا اليها من أشعارهم .. دون مساس بالشخصيات والأحداث .. منتحلين اسم المؤلف الأصلى اجلالا له واحتماء بشهرته الذائعة ، وتقول هذه الأبحـاث أيضا أن الشاعر فياسا سمى ملحمتـه الأصلية « جايا » ومعناها « النصر » ، وبعد زمن طويل سماها أحـد الشعراء الذين أضافوا اليها « بهاراتا » .. وهى أقدم اسم لبلاد الهند ، لقد بلغت المهابهاراتا والرامايانا من الأهمية والعالمية .. أن ترجمتا منذ ازمنة بعيدة الى كل لغات الهند (وهى خمس عشرة لغة ، لكل منها تراثها اللغوى والأدبى العريق) ، فلعبتا دورا أساسيا فى ترابط شعوب شبه القارة الهندية .. وانصهارهم فى قومية واحدة متجانسة رائعة ، ثم تخطت الملحمتان حدود أرضهما منذ مئات السنين ، فترجمتا الى عشرات اللغات الأجنبية شرقا وغربا ، بل ان الكم الهائل فى ثناياهما من الصراع الدرامى .. قد أهلهما للعرض على أكبر مسارح أوربا ، وعلى الرغم من أن تلك المسارح قد تحملت تكاليف انتاج باهظة ، لكن ما تكلفته يبدو ضئيلا .. بجانب ما تقدمه الملحمتان الى الجنس البشرى من حكمة وفن وفلسفة .. وادراك لأبعاد الحياة ورسالة الانسان .

وانى لأعتبر نفسى سعيد الحظ ، اذ أنقل هاتين الملحمتين لأول مرة الى لغتنا العربيـة ، كهدية متواضعة الى القارىء العربى ، ذلك القارىء .. الذى أراه مستحقا وقادرا .. على استيعاب

كل ما هو جميل وانسانى ونبيل . ثم ظلت الملحمة تروى وتتناقل ويزاد عليها فى مجالس الأدب والأسواق وبلاط الملوك .. حتى وصلت الى حجمها الحالى عام ٤٠٠ قبل الميلاد ، ثم أضيف الى اسمها كلمة « مها » التى تعنى بالعربية « عظمة » ، وبذلك أصبح اسمها « مهابهاراتا » أى « عظمة الهند » .

وتحكى المهابهاراتا قصة الحرب التى دامت ثمانين يوما بين « آل بانداف » الطيبين .. وأبناء عمهم الأشرار « آل كوراف » .. من أجل الفوز بعرش مملكة هاستينابور .

المهابهاراتا

كان (باندو) ملكا على (هاستينابور) ، يبادل شعبه الحب .. ويسعى جاهدا لاسعاده ، وعلى الرغم من أن سنوات ملكه كانت قليلة .. الا أن المملكة بلغت فى عهده قمة السعادة والثراء .

وعندما مات الملك كان أكبر أبنائه ما يزال صبيا ، ولذلك فاز أخو الملك بالعرش مؤقتا ، رغم أنه كان أعمى وكان للملك الجديد الأعمى مائة من الأبناء المعروفين باسم (آل كوراف) ، أما الملك الراحل (باندو) فلم يترك سوى خمسة أبناء كانوا يعرفون باسم (آل بانداف) ، وهم : الحكيم (دهارمابوترا) والقوى (بيم) والمحارب العظيم (أرجون) والتوأمان (تاكول .. و .. ساهاديف) .

كان أبناء العم آل (بانداف) وآل (كوراف) قد عاشــوا معا منذ طفولتهم فى قصر الملك فى هاستينابور ، لكن آل (كوراف) المـائة كانوا يحقدون على ابناء عمهم ويكرهونهم .. وقد كان اكثرهم حقدا على آل (باندا ف) هو (دوريودان) اكبر أبنــاء الملك الجديد الأعمى ، لأنه بدأ يطمع فى العرش بعد أبيه ، واخذ يفكر .. كيف يرث الملك من ابيه وابنــاء عمه الخمسة على قيد الحياة !! وســوف يعود العرش اليهم بعد موت أبيــه !! وراح الحقد فى قلب (دوريودان) يكبر ويتعاظم على أبنــاء عمه خاصة اقواهم واشجعهم (بيم) ، كان (بيم) منذ الصغر متفوقا عليه فى كل شيء .. فى اللعب .. والعلم .. والقوة .. والحب .. الى درجة أنه فكر منذ سنوات بعيدة فى أن يقتله ، لكنه كان يخاف من عمه الملك الذى مات .

ولجأ (دوريودان) الى خاله الشرير (ساكونى) وتآمر معه على قتل (بيم) .

ذات صباح خرج كل الأمراء فى نزهة خلوية على شــاطىء النهر ، كان الجو جميلا فلعبوا كثيرا ، واصطادوا بعض الحيوانات المفترسة من الغابة القريبة ، ثم أشعلوا نارا هائلة أعدوا بها وليمة ملكية على شاطىء النهر ، وعندما بدأوا يتناولون غذاءهم كان (بيم) هو اكثرهم جوعا وشهيــة للطعــام ، واستطاع الخــال الشرير (ساكونى) أن يدس له السم خلسة فى الطعام ، والتهم (بيم) الطعام المسموم كله فى دقائق ثم استلقى فوق الحشائش لينام بعض الوقت .. كعادة الأمراء بعد الغذاء ، وبعد أن انتهى باقى الأمراء من تناول الطعام استلقوا أيضــا فوق الحشــائش واستغرقوا فى النوم .

وتظاهر الشريران (دوريودان) و (ساكونى) بالنوم أيضا ، لكنهما كانا متيقظين يراقبان (بيم) ، وعندما تأكد لهما أن الجميع

قد ناموا تماما .. أسرعا بحبل كانا يخفيانه وربطا يدى (بيم) وقدميه دون أن يشعر لأنه كان قد فقد وعيه بسبب السم ، وألقيا به فى عرض النهر .

فى ذلك النهر كانت هناك حيات كثيرة سامة ، بمجرد أن بدأ (بيم) يغرق تحت المـاء أخذت الحيـات تلتف به وتلدغـه بأنيابها السامة ، وكان سم الثعابين مضادا وقاتلا للسم الذى يجرى فى دماء (بيم) ، ولذلك سرعان ما استيقظ من الغيبوبة ، وجد يديه وقدميه مقيدة فغضب غضبا شـديدا ، وكان (بيم) عندما يغضب يصبح انسانا خارقا ، فى لحظـة واحدة تخلص من الحبل وراح يهاجم الثعابين .. يمسك بكل منها فيلوى رقبته بعنف .. عنـد ذلك اصيبت الحيـات الباقيـة بالذعر وهربت متزاحمة فى بطون الأمواج .

كان ملك الثعابين يرقب ما يجرى من باب التسلية المدهشة، وعندما راى الثعابين تهرب ضحك ضحكة مكتومة ، ثم اقترب من (بيم) ودعاه الى قصره تحت المـاء ، وهناك رحب به قائلا :

ــ انك رجل فى غاية القوة والشجاعة ، وثعابينى تهاجم اى كائن حى يسقط فى النهر ، أنا سعيد لأنك انتصرت عليهـا وروعتها ، وقد قررت أن اكافئك ، سأعطيك شيئا يجعلك أقوى انسان فى العالم .

قال ملك الثعابين هذا .. واخذ (بيم) الى احدى غرف القصر ، حيث كانت هناك صفوف منتظمة من أوان كبيرة تشبه كئوس الخمر ، وقال ملك الثعابين :

ــ هذه الأوانى مملوءة بشراب خاص ، اشرب منها بقدر ما تستطيع ، ان ما فى الاناء الواحد سيعطيك قوة تعـادل قوة الف من الأفيال .

اهتز (بيم) فرحا ، كانت المعركة بينه وبين الحيات قد جعلته فى غاية الجوع ، ولذلك راح يعب ما فى الأوانى تباعا .. الى أن أفرغ ثمانية منها فى جوفه ، وعند ذلك أحس بالامتلاء والنعاس .. فاستلقى على أرض الغرفة واستغرق فى النوم .

لم يستيقظ (بيم) الا بعد ثمانية أيام ، واستيقظ فى منتهى القوة والحيوية ، لقد اصبح بالفعل أقوى رجل فى العالم ، قدم الشكر للملك الثعابين .. واستأذنه فى العودة الى الأرض فسمح له ، وشق (بيم) مياه النهر بيديه القويتين سابحا الى اعلا حتى وصل الى جسر النهر ، ثم اتجه سيرا على قدميه الى (هاستينابور) ، حيث التف به أخوته الأربعة يعانقونه وهم فى قمة الفرح بعودته .. بينما كانت أمهم (كانتى) قد غلبها البكاء من فرط السعادة .

وعلم (دوريودان) بعودة (بيم) فكاد أن يجن من الدهشة والغضب ، كيف استطاع (بيم) أن ينتصر على السم ؟ ! كيف عاد الى الحياة ؟ ! ولم يجد (دوريودان) اجابة واحدة ، لكنه قرر أن يدبر مكيدة أخرى أكثر احكاما .. تكون نهايتها قتل (بيم) وأخوته الأربعة ، وقال فى نفسه : عند ذلك فقط سوف أهدأ .. وأشعر بالسعادة .. وأضمن بعد موت أبى أن أكون ملكا على (هاجستينابور) .

***

ذات صباح .. سمع فى القصر هياج شديد ، كان اليوم هو يوم السباق .. الذى يعرض فيه كل أمير مهارته فى اطلاق السهام ، وكان أهم الحاضرين من غير الأمراء هو معلمهم الخصوصى (درونا) ، الذى علمهم حتى أصبحوا أحسن الرماة فى المملكة ،

وبالذات الأمير المفضـــل لديه (أرجون) ابن الملك الراحل والذى لم يعد هناك أحد فى مهارته .

كان أفراد الشعب قد جاءوا من كل أنحاء المملكة ، تجمعوا فى أحد ملاعب القصر بملابســهم الملونة الزاهية ، وتقدم المعلم الخصوصى (درونا) أمراء القصر الى الملعب ، وبدأ السباق .

أظهر كل أمير مهارة فائقة ، لكن مهارة (أرجون) كانت شيئا خارقا ، أطلق أولا (سهم النار) الذى انفجر الى سعير من اللهب ، ثم أطلق (سهم المطر) فأسقط به مطرا غزيرا أطفـأ النار ، والهب أكف الشعب بالتصفيق ، لكن الأكثر ادهاشا أن (أرجون) أطلق بعد ذلك (سهم الريح) فاذا بريح رقيقة تهب فتحمل السحب الى بعيد .. وتشرق الشمس ساطعة ، عند ذلك انتفضت جموع الشعب واقفة .. وراحت تصفق وتهتف بأصوات الرعـد :

ـ الأمير العظيم ارجون !! ليس هناك فى الأرض من يهزمه !! انه يصنع المعجزات .. النار ؟ والمطر ؟ والريح ؟ من يستطيع أن يفعل هـذا ؟ !

واذا بشاب من وسط الزحام يجيب :

ـ انا أستطيع أن أفعل أكثر من هذا .

التفتت اليه كل العيون ، كان شـابا طويلا .. قويـا .. مشدود العضـلات ، لكن الناس دهشـوا من وقاحته وأخذوا يسخرون منه .

ـ هل تتحدى الأمير ارجون ؟

ـ اجلس

واقترب رجل عجوز من الشاب وهمس اليه :

ــ يا بنى !! انك واحد من أفراد الشعب .. كيف تتحدى اميرا ؟

اجابه الشاب :

ــ لكنى أفضل منه !! فلماذا لا اتحداه ؟ !

وأشار اليه المعلم (درونا) قائلا :

ــ تعال أيها الشاب !! من انت ؟

ــ أنا كارنا

ــ وتقول انك أفضل من ارجون ؟

ــ نعم ، واستطيع ان ابرهن على ذلك

ــ ولكنك لست أميرا لكى تتحدى الأمير !!

عند ذلك احنى كارنا راســه خجلا واستدار لينصرف ، لأنه كان ابن رجل فقير ، لكن (دوريودان) الشرير صرخ فيه :

ــ لا تنصرف ، تعــال . ماذا يهم ان لم تكن اميرا ، انى نصبتك الآن ملكا على احد مقاطعات المملكة ، انت الآن ملك على (انجــا) .

كان (دوريودان) يقصد بذلك ان يعطى (كارنا) الحق فى ان يتحدى (ارجون) ، نظر الى معلم الأمراء وقال :

ــ هــكذا أصبح من حقــه ان يتحدى الأمير يادرونا .. أليس كذلك ؟

أجاب (درونا) :

ـ من حقه الآن !!

اذن دعنا نبدأ !!

كان (دوريودان) يحلم بأن يذل ابن عمه (أرجون) أمام الشـــعب .

تناول كل من ارجون وكارنا قوســـه وسهامه وبدأ يستعد ، واذا برجل عجوز أعرج يتقدم نحو كارنا .. ثم يحتضن وجـــه الفتى بيديه قائلا :

ـ يا بني !! لقد اصبحت الآن ملكا ، اني فخور بك .

تعرف الشعب على الرجل العجوز الأعرج ، انه (عربجى) ، اذن فكارنا هـــذا الذى يتحدى الأمير ابن عربجى !! تطـــايرت صيحات الشعب :

ـ كيف يجرؤ ابن العربجى على هذا ؟

احس كارنا بالخجل ، فحمل قوســـه وسهامه وبدأ يبتعد ، كان حزينا لأنه عجز عن اثبات تفوقه على أرجون ، لكنه أحس بأنه قد كسب صديقا عظيما مدى العمر .. هو دريودان الذى قال له :

ـ لمـــاذا انت حزين ؟ انك الآن ملك على (أنجـــا) ، غنى ، وقوى ، ولكن !! هل أنت حقا افضل من ارجون ؟ !

ـ نعم ، انا افضل منه

اقترب منه دوريودان وهمس اليه :

ـ اذن فانت ستعاوننى .

ـ اعاونك ؟ فى ماذا ؟

ـ فى قتـــل أرجون واخوته ، انهم طالمـا ظلوا على قيـــد الحياة . لن أكون ملكا على (هاستينابور) .

ـ سوف أساعدك ، سأهزم ارجون لأثبت لك انى افضل منه كثيرا .

وذات يـــوم ذهب (دوريودان) الى أبيـــــه المـــلك الأعمى وقال له :

ـ لمـــاذا لا تعلن يا أبى أنى وريثك فى العرش ! ؟ انى أكبر ابنائك ، وهذه قواعد ميراث العروش !!

هز الملك الأعمى راسه فى حيرة وقال :

ـ لايمكن يا ولدى أن يحدث هـــذا ، مع أنى أريدك ان تصبح ملكا من بعدى .. لكن (دهارمابوترا) ابن عمـــك وريث العرش ، ثم ان كل الشعب يحبه لأنه طيب وصادق وشجاع ، وانا لا استطيع أن أقف ضد ارادة الشعب .

ـ اذن حقق لى رغبة واحدة يا أبى .

ـ ما هى ؟

ـ دع آل بانداف يبتعدون عن هاستينابور لمدة عام واحد ، واعدك خـــلال غيابهم أن أكسب حب الشعب .

ـ وأين أبعد آل بانداف يا ولدى ؟

ـ ارسلهم الى (فارنافارتا) ، انها مدينة جميلة على شاطىء النهر .. يمكن أن يقضوا فيها أوقاتا طيبة .

تعجب الملك ، لكنه لم يسأل دوريودان لأنه بالتأكيد لن يبوح بما يدور فى رأســـه ، وأرســـل الملك فى طلب ابناء اخيه الخمسة ، ولمـــا جاءوا اليه قال لهم :

ـ لقد عشتم فى هاستينابور زمنا طويلا ، لمـاذا لا تخرجون فى رحلة ترون فيها أماكن أخرى ؟

نظر آل بنداف كل منهم الى الآخر ولم يجيبوا ، بينما راح دوريودان يضرب على الأرض بقدمه فى ضيق ، واستطرد الملك :

ـ اذهبوا ومعكم أمكم الى فارنافارتا ، انها مكان جميل .

نظر آل بانداف كل الى الآخر مرة أخرى وفكروا ، لمـاذا يريد الملك أن يبعدهم فجـأة عن مملكتهم ؟ ! كان كل منهم واثقا أن (دوريودان) هو صاحب الاقتراح ، لكنهم لم يسألوا الملك عن أى شىء .

جهز آل بانداف أنفسهم للسفر ، وودعهم شعب المملكة وداعا حزينا ، أراد كثير من الشعب أن يرافقوهم الى (فارنافارتا) لكن (دهارمابوترا) قال لهم :

ـ عودوا الى بيوتكم ، اننا لن نغيب الى الأبد ، سـوف نعود بعد عام واحد .

كان دوريودان يرى ويسمع حديث الشعب مع أبناء عمه قبل مغادرتهم المدينـة .. مما جعله أكثر تصميما على التخلص منهم ، وبمجرد أن رحلوا اختلى دوريودان بواحد من رجالة الذين يثق فيهم وقال له :

ـ اذهب الى (فارنافارتا) بأسرع ما يمكن وشيد هنـاك منزلا جميلا لآل بانداف ، شيده من مواد قابلة للاشتعال السهل السريع خاصة الصمغ ، ثم انثر العطور فى كل أرجـاء المنزل لكى تختفى رائحة الصمغ ، وعليك أيضـا أن تطلى الجدران وتزينها ، ثم ابق هناك لتحرس البيت ، وعندما أرسل اليك بأوامرى أشعل

النار فى البيت ، عند ذلك يموت أبناء عمى الخمسة وأصبح أنــا وارث العرش ، ولكن ، احترس لكيلا لا يشك أحد فينا .

وبنى فى فارنافارتا بيت كبير من الصمغ والشمع والخشب ، ثم طليت جدرانه بطــلاء لامع وعلقت عليها لوحات رائعة ، تم كل هذا سريعا قبل أن يصل آل بانداف الك هناك ، وعندما وصلوا هتف (بيم) فرحا :

ـ ما أجمله من بيت !! انظروا الى شرفاته وقبابه الجميلة !! ان حجراته ولوحاته أجمل مما لدينا فى هاستينابور !!

وفجأة رفع (بيم) يده واستنشق الهواء ، ثم نظر حوله وهو يتشم الهواء مرة أخرى وتمتم :

ـ انى اشم رائحة صمغ !!

تشمم اخوته هواء البيت وهزوا رءوسهم ، لقد شموا هم ايضا رائحــة الصمغ التى لم تستطع العطور أن تخفيها ، وهمس دهارمابوترا الى اخوته قائلا :

ـ يجب أن نحترس ، ان دوريودان يخطط لقتلنا باشعال النار فى هذا البيت .

هكذا عاش آل بنداف فى بيتهم الجديد وهم فى غاية الحذر ، وذات يوم أرســـل عمهم (فيدورا) رجلا يقول لهم :

ـ لقد جئت لأحفر سردابا يصــل هــذا البيت بشـــاطىء النهر .. لكى تهربوا منه عندما تحسون بأى خطر .

ســـأله بيم :

ـ اى خطر يتوقعه عمى (فيدورا) ؟

اجاب الرجل :

ـ ان حارس هذا البيت سوف يشعل فيه النار بمجرد أن يتلقى الأمر من دوريودان ، وعلى ان أبدأ عملى فورا فى حفر السرداب .

ولم يضيع الرجل وقتا فبدأ العمل بمجرد هبوط الليل لكى لا يشعر الحارس بشيء ، وفى نفس الوقت راح آل بانداف يقومون كالمعتاد برحلات الصيد وحفلات المرح .. مما جعل حارس البيت سعيدا بأنهم لا يعلمون ما دبر لهم .. وأرسل الى دوريودان يبشره بأن آل بانداف لم يكتشفوا الفخ ، وفى نفس الوقت كان آل بانداف سعداء لأن الحارس لم يكتشف أمر السرداب .

ومر العام ، أصبح آل بانداف أكثر يقظة وبالذات (أرجونا) الذى بدأ فى قمة القلق وهو يقول لاخوته :

ـ ذات يوم قريب جدا سيصل الحارس أمر بحرق البيت ، فدعونا نشعل النار قبل ذلك ونهرب ، ان هذا سوف يصيب دوريودان بالجنون .

فقال بيم وهو شارد العينين :

ـ هذا اقتراح حكيم ، سيظن دوريودان اننا قتلنا فى الحريق ويسعد ، لكنه بمجرد أن يرانا ثانية فى هاستينابور .. ترى !! ماذا يمكن أن يحدث له ؟ !

قال دهارمابوترا :

ـ اننا لن نعود الى هاستينابور .

قال بيم فى فزع :

ـ ماذا تقول؟

ثم لاذ بالصمت لأن اخاه الأكبر دهارمابوترا كان اكثرهم حكمة .

وذات ليلة حالكة الظلام .. أشعل آل بانداف النار فى البيت وأسرعوا بالهرب عبر السرداب ، أصبح البيت فى لحظات السنة من اللهب ، وحاصرات النار الحارس النائم فالتهمته قبل أن يتمكن من الهرب ، وأضاءت نار الحريق أرجاء المدينة فأسرع الناس الى خارج منازلهم يتساءلون عما حدث ، ثم أصابهم الذعر وهم يرون بيت آل بانداف يحترق ويملأ جو المدينة بالضوء والدخان ، وكانوا يصرخون تباعا فى ذهول :

ــ مات آل بانداف !! من الذى قتل هؤلاء الأمراء الطيبين ؟!

وانتشر الخبر حتى وصل الى هاستينابور حيث فاضت قلوب شعبها حزنا .. ولم يشعلوا مصابيح الشوارع لأيام عديدة، ولم تسمع فى المدينة كلها ضحكة واحدة ، انقلبت هاستينابور الى مدينة للبكاء ، أما فى قصر الملك فكان آل (كوراف) يحتفلون سرا بموت أبناء عمهم .. وبانتقال وراثة العرش اليهم .

كان الوقت ما يزال ليلا عندما خرج آل بانداف من نهاية السرداب عند شاطىء النهر ، ومن هناك رأوا البيت يحترق والسنة اللهب تغرق المدينة بالضوء ، ورأوا أهل المدينة من بعيد يهرولون هنا وهناك ويملأون الجو صراخا .

أسرع آل بانداف الى النهر حيث وجدوا زورقا فى انتظارهم، قال الرجل الذى كان ينتظرهم فى الزورق .

ــ لقد طلب منى الأمير (فيدورا) أن أنقلكم الى الشاطىء الآخر قبل شروق الشمس ، ويجب الا يعرف انسان آخر انكم نجوتم من الحريق .

فسأله بيم :

ــ ولكن كيف عرف خــالى أننا سنهرب الليلة ؟

عند ذلك أصدر الأمير دهارمابوترا أمرا الى أخيــه بيم قائلا

ــ هيا اهبط الى الزورق بسرعة ، ليس هنــاك وقت للســؤال !!

وهبطوا جميعا الى الزورق ، ثم راح الرجل يضرب المــاء بمجدافيه حتى عبر بهم النهر ، وعلى الشاطىء الآخر كانت هناك غابة كثيفة الأشجار ، قدم آل بانداف الشكر للرجل الذى عبر بهم النهر .. ثم دخلوا الى الغابة حيث لم يتوقفوا عن السير أياما متوالية ، أثنــاء الليل فقط كانوا يستريحون تحت الأشجار .. أو فى القرى التى تصادفهم .. حتى وصلوا الى مدينة اكشاكرا فى نفس اليوم الذى يقام فيه سوق المدينة .

كانت الشوارع مزدحمة بالناس ، فاختار آل بانداف حارة هادئة للسير ، واذا برجل يعترض طريقهم ويسألهم هامسا :

ــ أنتم آل بانداف ، أليس كذلك ؟

عند ذلك أصيب آل بانداف بالانزعاج ، لقد كانوا يرتدون ملابس البراهمــة الفقراء .. فكيف تعرف عليهم هذا الرجل !!

وفاجأهم الرجل مفاجأة أخرى ، همس اليهم ثانية :

ــ لا تنزعجوا .. لا أحد غيرى ســوف يتعرف عليكم ، الجميع هنا يعرفون أنكم متم فى الحريق ، أنا الوحيد الذى لم أصدق أنكم وقعتم فى الفخ ، ولذلك كنت أتوقع حضوركم الى هنا ، هيامعى الى بيتى وعيشوا معى ، صحيح أننى رجل فقير .. ولكننى سأبذل جهدى لأرعى شئونكم .

كان آل بانداف متعبين وجائعين .. فقبلوا دعوة الرجل شاكرين وتبعوه الى بيته الفقير ، وكانوا كل يوم يخرجون الى الشوارع فيستجدون طعامهم .. ويعودون به الى أمهم فى بيت الرجل الفقير الطيب ، فتقوم الأم بتوزيع الطعام عليهم ، لكنهـا كانت تخص بيم بالنصيب الأكبر من الطعام .. لأنه كان أقوى الأبناء واضخمهم جسما وحاجة الى الغذاء ، ولذلك لم يكن الطعام يكفيه مهما كان كثيرا .. مما جعله نحيلا وضعيفا .. وجعل أمه تقلق عليه .

وذات صـباح قبل أن يخرج الأمراء الخمسـة من البيت ليتسولوا .. سمعوا صوت بكاء فى الحجرة التى يعيش فيهـا صاحب البيت وأسرته ، فقال بيم لأمه :

ـ أماه ، ادخلى الى حجرتهم لترى لمـاذا يبكون .

اقتربت الأم (كونتى) من باب الحجرة فسمعت البرهمى الفقير يقول لزوجته :

ـ اليـوم هو موعـدى لكى أذهب الى (الراكشاسـا) ولا أراك ثانية ، لقد نصحتك منذ زمن بعيد بأن نغادر هـذه المدينة لكنك لم تطيعينى .

قالت زوجته باكية :

ـ واذا ذهبت فماذا يمكن أن يحدث لأطفالنا ؟ !

دعنى أذهب انا بدلا منك الى (الراكشاسا) .

وسألها ابنها الصغير وهو يمسح دموعها :

ـ أماه ؟ لمـاذا تريدين أن تذهبى ؟ ابقى هنا مع ابى ، ودعينى اذهب انا واقتل هـذا الراكشاشا .

واندفعت أخته الصغيرة تقول له :

ــ أيها الغبى !! كيف تستطيع أن تقتل الراكشاسا ؟ !

أنا أقول ماذا تفعل ، نذهب أنا وانت معا ، وعندما يهجم على الراكشاسا ليأكلنى تستطيع أنت أن تفاجئه من الخلف وتقتله .

ابتسم الرجل وزوجته من خلال دموعهما ، وعند ذلك اندفعت الأم كوتى الى داخل الحجرة وقالت :

ــ أخبرونى ، ما هى المشكلة ، لقد ساعدتمونا كثيرا فاعطوا أبنائى فرصة ليساعدوكم .

أجابها الرجل الفقير :

ــ لا أحد يستطيع أن يساعدنا .

قالت كوتى :

ــ قد يكون هذا صحيحا ، لكن على الأقل اخبرونى ما هى المشكلة :

اجابها الرجل الفقير :

ــ منذ نحو عشر سنوات جاء من الغابة (راكشاسا) رهيب اسمه (باكو) وسيطر علينا ، اتخذ له كهفا عند طرف المدينة وكلما جاع اتى ليمسك الناس ويأكلهم ، وبعد أيام من الرعب ذهب اليه شعب المدينة وقالوا له :

ــ نرجو الا تأتى الينا بهذه الطريقة ، وسوف نرسل اليك كل اسبوع عربة مملوءة بالطعام يجرها ثوران ، وكل بيت ــ بالتناوب ــ سوف يرسل واحدا من أفراده ليقود العربة اليك ،

ويمكنك خلال الأسبوع أن تأكل الطعام .. والثورين .. وقائد العربة أيضا .

ووافق الراكشاشا . ومنذ ذلك الوقت نرسل اليه كل اسبوع ما اتفقنا عليه ، والآن .. جاء على الدور فى الذهاب الى الراكشاسا .

قالت والدة آل بانداف :

ــ ولكن .. لماذا لم تحاولوا أن تقتلوا ذلك الوحش ؟ !

أجاب الرجل فى انكسار :

ــ رجال شجعان كثيرون حاولوا ، لكنه قتلهم جميعا وأكلهم .

قالت والدة آل بانداف :

ــ لا عليك ، بالتأكيد فان الله سوف يساعدنا ، واحد من أبنائى سوف يذهب بالطعام الى الراكشاسا .

عند ذلك قفز الأمير (بيم) قائلا :

ــ انا سأذهب اليه يا امى .

ثم عاد يقولها صراخا :

ــ انا سأذهب اليه .

تجمع أهل المدينة يحملون الطعام أمام بيت الرجل الفقير لكى يذهب به الى الراكشاسا ، ملئت العربة بالطعام ، وربط بها الثوران وفجأة قفز (بيم) الى مقعد القيادة وانطلق بالعربة ، وقف شعب المدينة يتطلعون اليه فى أسى .. واثقين أنهم لن يروه مرة أخرى .

جلجل صوت العربة بين التلال ، والتفت (بيم) الى الوراء ليلقى نظرة سريعة على العربة .. فسال لعابه لرؤية الطعام الوفير ، لقد مضى وقت طويل لم يشبع فيه ولا مرة ، مد يده الى الخلف فتناول طعاما حشا به فمه وراح يمضغ ويحث الثورين على السرعة ، ثم عاد يتناول بيده طعاما آخر ويأكل حتى وصل الى كهف باكو ، كان قد التهم كمية كبيرة من الطعام الذى فى العربة ، وعند مدخل الكهف راح ينادى فى سرور :

ــ هيه باكو !! اخرج الى لتأخذ طعامك !!

لكنه لم يسمع صوتا ولم ير أثرا لباكو ، ظل منتظرا أمام الكهف دون أن يتوقف عن الأكل حتى خلت العربة من الطعام تماما ، فسند رأسه بيده وأخذ يحدق فى مدخل الكهف ، واذا باكو يخرج من الكهف ، ثم يدور حول العربة الخالية ، ثم ينطلق صوته مثل زئير الرعد :

ــ اين طعامى ؟ !

اجابه بيم :

ــ انا اكلته ! !

ــ انت اكلت طعامى ؟ ! كيف تجرؤ على ذلك ؟ !

ثم دار بعينيه يتفحص (بيم) لحظات وقال :

ــ على اية حال .. انت رجل ضخم وممتلىء ، سوف لا اشعر بالجوع بعد أن آكلك .

قال (بيم) :

ــ هذا صحيح ، ولكن عليك أولا أن تمسكنى .

ــ ماذا تعنى ؟ ! انا دائما آكل سائق العربة !!

ـ ولكن اليوم عليك أن تقاتل قبل أن تأكلني .

ـ حسنا ، اذا كانت هذه رغبتك ..

قال هذا وهو بقبضتيه الثقيلتين على صدر (بيم) ، قفز (بيم) قفزة واسعة ، واقتلع باكو شجرة من الأرض وقذف بها نحو (بيم) ، تلقى (بيم) الشجرة بيديه وطوح بها بعيدا . وبدأت المعركة .

كانت معركة رهيبة .. انتهت بأن حمل (بيم) الراكشاسا الى أعلا وقذف به فى عنف الى الأرض ثم قفز اليه وراح يضربه بقدميه حتى تهشمت عظام الراكشاسا فارتمى ساكنا .. وفقد الحياة .

حمل (بيم) جسد القتيل فكومه فى العربة .. وعاد به مسرعا ، وما ان راى شعب المدينة العربة عائدة حتى خرجوا جميعا من بيوتهم ليروا ما لم يخطر لهم على بال .

شق (بيم) طريقه بين الزحام الى البيت حيث غسل جسده من اثار المعركة .. بينما كانت امه واخوته فى غاية الفخر والفرح .. وشعب المدينة يتزاحم امام البيت ابهة وارتياحا .. وتهليلا باسم بطلهم الشجاع العظيم .. (بيم) .

***

وذات يوم عاد (بيم) الى البيت مسرعا ، وما ان عبر عتبة البيت حتى اخذ ينادى :

ـ ارجون ؟ ارجون ؟ أين إنت يا أخى ؟

واسرع اليه ارجون من الداخل قائلا :

ـ ماذا حدث يا بيم ؟

ـ عندى أخبار جديدة وهامة ، سيقيم الملك (دروباد) حفلا لاختيار عريس لابنته الجميلة (دروبادى) ، وفى الحفل ستقام مسابقة فى رمى السهام ، والفائز سيتزوج الأميرة !!

ـ لقد سمعت بمثل هذا النظام لكنه نظام غريب .. أليس كذلك ؟

ـ هذا صحيح ولكن .. ألن تذهب لتجرب حظك ؟

ـ كيف أذهب يا بيم ؟ ان حفلا كهذا لا يدعى اليه الا الملوك والأمراء !!

ـ لكن جمهور الشعب أيضا سيذهب لمشاهدة الحفل .

ـ فى هذه الحالة سيصبح هناك أمل .

ـ أملى كبير ، انك أمهر من يرمى بالسهام ، انك تستطيع أن تفوز بالأميرة وتصبح صهرا لملك غنى وقوى يمكن أن يساعدنا فى استرداد ملكنا الضائع !!

برقت عينا أرجون بالأمل وقال ضاحكا :

ـ بيم !! انك تخطط للأمر منذ زمن طويل !!

وكان أخوهما الأكبر يسمع الحديث وهو فى غرفته .. فخرج اليهما يقول بنبرة حازمة :

ـ نعم يا أرجون ، ان بيم على حق ونحن فى حاجة الى مساعدة الملك القوى دروباد .

واجتمع الأخوة الخمسة ومعهم أمهم « كونتى » واتخذوا القرار ، وفى صبيحة اليوم التالى شكروا أهل البيت الطيبين

الذين استضافوهم طويلا .. وودعوهم .. وبدأوا الرحلة الى (بانشالا) عاصمة مملكة دروباد .

كانت بانشالا تضج بالبهجة الصاخبة والزينات ، وعلى جوانب الطرق علقت أكاليل الزهور والأعلام الملونة ، وكان جمال الأميرة معروفا فى كل الممالك فجاء ملوكها وأمراؤها طامعين فى الفوز بالأميرة الفاتنة ، وكان الملك دروباد قد أعد لهم بيوتا فاخرة ليقيموا فيها ، وعندما أقبل المساء أضيئت آلاف المصابيح التى راحت أنوارها تتلألأ ملء سماء المدينة ، وبعد عدة ساعات من الليل وصل آل باندافا الى بانشالا فى زى براهمة فقراء ، واتخذوا لأنفسهم مأوى لقضاء الليل فى أفقر الأحياء النائية .

وفى صبيحة يوم الاحتفال ذهب الأخوة الخمسة مع الجموع الذاهبة الى قصر الملك ، حيث جلسوا مع عامة الشعب ، وبدأ المدعوون من الملوك والأمراء يتوافدون على بلاط الملك ويجلسون على المقاعد الفخمة التى أعدت لهم ، بينما كان الملك جالسا على مقعد العرش .. والى جواره تجلس الأميرة دروبادى وبين يديها اكليل رائع من الورود ؛ وعندما اتخذ الجميع أماكنهم قال الملك وهو جالس على كرسى العرش :

- ان الفائز فى هذا السباق سيتزوج ابنتى ، ها هو قوس معلق بجوار حوض السباحة ، وها هى على السقف فوق الحوض تماما سمكة ذهبية تدور بأقصى سرعة ، من يريد أن يتزوج ابنتى عليه أن يحكم شد القوس .. ثم يصيب عين السمكة بسهم واحد بشرط الا ينظر الى اعلا بل يصوب السهم الى عين السمكة وهو ينظر الى صورتها فى مياه الحوض .

ابتسم الملوك والأمراء فهم جميعا من امهر الرماة ، نهض

أولهم وجرب حظة ففشل ، وتبعه الأخرون ففشلوا أيضـا ، بل ان بعضهم لم يستطيعوا حمل القوس فقد كان ثقيلا ، والبعض الآخر نجحوا فى حمل القوس وشـده لكن سهامهم أخطأت الهدف فقد كانت السمكة تدور على السقف بسرعة لايمكن ملاحقتها ، وفوجىء آل باندا ف أن من بين الأمراء المدعوين الفاشلين ابن عمهم دوريودان وصديقه كارنا .

والآن .. وقد أخفق الملوك والأمراء جميعـا ، هل تظـل الأميرة الجميلة بلا زواج ؟ ! اتجهت كل العيون الى الملك فاذا به يعلن :

ـ والآن ، أدعو عامة الشعب الى ان يجربوا حظهم ، ومن ينجح فى اصابة الهدف سيتزوج ابنتى .

على الفور نهض أرجون متجها نحو حوض السباحة ، بدا ارجون شابا طويلا وسيما الى الحد الذى جعل الشعب يتساءل فى دهشة :

ـ من أين لهذا البرهمى الفقير كل هـذا الطول والوسامة والعضلات ؟ ! ثم ان خطواته تشبه تماما خطوات الأمراء !!

كان ارجون فى طريقه نحو حوض السباحة يسمع همسـات الشعب لكنه لم يلتفت يمينا أو يسارا حتى وصل الى القوس ، حمله بسهوله واضحة ، وشـده حتى توتر الى أقصى درجة ممكنة ووضع السهم فى القوس ثم جثا على قدميه ، وبحذر شـديد وخبرة هائلة أطلق السهم ، واذا بالسهم يستقر فى عين السمكة ، راح الناس يصفقون بقوة ويهللون ، بينما أطلق ارجون سهمين آخرين اصابا عينى السمكة واسقطاها فى ماء الحوض .

عند ذلك نهضت الأميرة الفاتنـة وطوفت باكليل الورد عنق

ارجون ، وسرعان ما نهض الملوك والأمراء جميعا متذمرين يهتفون بصوت واحد :

ـ لا لن نسمح بهـذا ، لن تتزوج الأميرة هـذا البرهمى الفقير .

قال الملك فى هدوء :

ـ أرجوكم أن تجلسوا وتهدأوا ، لقد فاز البرهمى بجدارة كما رأيتم ولذلك سيتزوج أبنتى .

وعند ذلك وقف الملوك والأمراك شاهرين سيوفهم مهددين .

ـ لن نسمح بهذا .

وعلى الفور رفع آل بانداف سيوفهم وبدأت معركة رهيبة ، لكن الملوك والأمراء لم يكونوا على مستوى آل بانداف فانسحبوا من المعركة مهزومين يتمزقون حسدا وغيظا ، ونهضت الأميرة مرة اخرى فطوقت بأكاليل الورد عنق ارجون ، وسمع الملك همهمات من حوله عرف منها أن من سيتزوج ابنته امير من آل بانداف فزادت سعادته ، ونهض فبارك العروسين فى زهو .

وعاد ارجون بعروسـه واخوته من حوله الى امهم كونتى فى البيت الفقير النائى عند طرف المدينـة ، وعند عتبة البيت هتف أحدهم :

ـ امى ؟ تعالى يا امى وانظرى ماذا احضرنا معنا ! !

اجابت الأم من الداخل :

ـ أنا مشغولة ، اى شىء احضرتموه اقتسموه معا .

اجابها دهارما بوترا فى فزع :

ـ ماذا قلت يا أمي ؟ ! لقد احضرنا ـ

قاطعته أمه فى حزم :

ـ قلت : اى شيء احضرتموه اقتسموه معا ، هـــذا هو ما يحدث دائما وهذا ما امركم به .

تطلع الأخوة الى بعضهم فى دهشة ، انهم لم يعصــوا أمهم من قبل فكيف يعصونها الآن ؟ ! وهكذا أصبحت دروبادى زوجة للأخوة الخمسة .

أصبح آل بانداف فى منزلة أبناء الملك دروباد ، وبداوا يحيون حياة رغدة أمنة ، وعندما وصلت الى دوريودان من جواسيسه هذه الأنباء استشاط غيظـا ، ان كل خططـه لقتل آل بانداف فشلت ، وهم الآن ليسوا أحياء فحسب .. بل اغنياء وأصهار الملك ؟ !

جمع دوريودان أعوانه ليبحثوا الأمر ، فقال صديقه كارنا :

ـ لقد حان الوقت لكى نهاجم ، ان جيشنا قوى ويستطيع بسهولة أن يهزم جيش الملك دروباد .

قال دوريودان فى سعادة :

ـ هذه فكرة رائعة ! !

لكن بيشما (خال أم دوريودان) قال له :

ـ لا تكن احمق !! انك لا تستطيع ان تهزم آل بانداف .

وقدم فيدورا نصيحته قائلا :

ـ الحل الأفضل هو ان تدعوا ابناء عمكم للحضــور الى هاستينابور ، ثم تقسموا المملكة بينكم وبينهم .

صرخ دوريودان محتجا :

ــ مستحيل أن يحدث هذا ؛ انها مملكتنا فقط .

وتدخل ابوه الملك المؤقت الأعمى قائلا :

ــ ان فيدورا على حق ، وكان يجب أن افعل هذا منذ زمن طويل ، لكن الوقت ما زال مناسبا ، سأفعل هذا الآن ، فيدورا ؟ ارسل الى أبناء أخى لكى يعودوا فورا .

بعد أيام قليلة وصل آل بانداف مع أمهم الى هاستينابور ، وما ان رأى الشعب عربات موكبهم قادمة من بعيد .. حتى خرجوا لاستقبالهم بالهتاف والفرح والرقص والغناء ، وعندما اقبل الليل أضاء الشعب المصابيح وملأوا الفضاء بألعاب النار .. مما أزعج دوريودان وملأ قلبه بالخوف والحيرة .

والتقى الأخوة الخمسة بعمهم الملك المؤقت الأعمى ، قدموا له التحية بلمس قدميه ، ووضع الملك يده على راس كل منهم ليباركه . ثم سأل :

ــ كيف حال امكم ؟

اجاب دهارمابوترا :

ــ بخير يا عمى .

ــ حسنا ، لقد ارسلت فى طلبكم لأقسم المملكة بينكم جميعا .. انتم واولادى ، ستكون العاصمة هاستينابور من نصيب ابنى دوريودان ، اما انت يا دهارمابوترا فستأخذ (كاندافيراستا) ، وسأتوجك الآن ملكا عليها .

احنى دهارمابوترا راسه الى اسفل ولم يتكلم ، لقد صدمه هذا التقسيم الظالم ، لأن كاندافيراستا منطقة صخرية قاحلة جافة خالية تماما من النبات ، وسكانها عدد قليل من الرحل

الفقراء ، ضرب بيم الأرض بقدميـــه ضيقا وهم بالكـلام ، لكن دهارمابوترا أشار له بالتزام الصمت .

وتوج دهارمابوترا ملكا على كاندافيراســتا ، وانتقــل الى مملكته الجديدة بصحبة امه واخوته وزوجتهم دروبادى وابن خالهم كريشنا الذى كان صديقا حميما لأرجون .

كانت كاندافيراستا فعلا أرضا قاحلة تنتشر فيها الصخور والأدغال ، وهناك قال ارجون لأخيه الملك :

ــ ما هذه القسـمة الظالمــة ؟ انى لن ادعك تقبل هــذه القسمة ، ماذا نفعل بهذه الصحراء ؟ اننا لن نستطيع العيش هنا !!

وقال بيم :

ــ ان ارجون على حق ، من منكم يريد العيش هنا ؟

انا شخصيا لن أبقى هنا

قال دهارمابوترا بهدوء :

ــ انا هنا الملك ، وسيبقى الملك هنا

علق بيم غاضبا :

ــ ولمــاذا تبقى هنا ؟ انك الملك الحقيقى لهاستينابور وليس الشرير دوريودان .

هز دهارمابوترا راسه وقال لبيم :

ــ يحتمل ان يكون هذا صحيحا .

ــ يحتمل ؟ انه الحقيقة الصارخة .

ــ حســنا ما تقول ، لكن عمى نصبنى ملكا على هـــذه المملكة ، ومن نحن حتى نعصى أمر الكبار من اسرتنا ؟

قال بيم وأرجون معا :

ـ لكننا يجب أن نناقش الكبار عندما يخطئون .

قال كريشنا بابتسامة هادئة :

ـ فيم هذا الشجار ؟ وماذا لو كانت هذه الأرض صحراء ؟ ! سوف نعمل بكل طاقتنا حتى نؤسس هنا أجمل مملكة فى العالم .

قال بيم أكثر غضبا :

ـ ان هذا لن يحدث ، لأن الأحجار لا تنبت ازهارا ، مستحيل .

قال كريشنا :

ـ ليس هناك مستحيل يا بيم ، سوف أساعدكم بالعمال من رجالى ، وسوف نحقق معجزة فى هذه الأرض ، فقط أود أن أقول لكم : اننا لكى ننجح فعلينا جميعا أن نعمل .

هكذا بدأ العمل ، ظل الجميع يصلون الليل بالنهار حتى بدأت المبانى ترتفع .. والطرقات تلمع ، وعندما اكتملت المدينة أصبحت بهجة العيون والقلوب ، واختار لها كريشنا اسم (اندرا براستا) أى جنة الاله اندرا ، وعلق على ذلك قائلا :

ـ أليست تشبه مدينة الاله اندرا التى بناها فى السماء !!

وذاعت شهرة المدينة حتى عمت كل البلاد والممالك ، فوفد الناس متزاحمين ليروا عاصمة المملكة الجديدة ، وكثير منهم لم يعودوا الى بلادهم بل استقروا فى المدينة وأحبوها وعملوا من أجلها .. الى أن أصبحت (مملكة دهارمابوترا) وأهلها فى قمة الثراء والسعادة والازدهار .

ونمت المملكة مساحة وعمرانا وشهرة ، فبدأ التجـار يأتون اليها من الممالك البعيدة ، وتقاطر الحكماء والفلاسـفة الى بلاط ملكها (دهارمايوترا) الذى انتشرت سمعته الطيبة فى كل الممالك ، فأرسل اليه الملوك الهدايا الفاخرة طلبا لصداقته .

وكـان (دوريودان) الشرير أحـد الملوك الذين سـمعوا بما وصلت اليه مملكة أبناء عمه ، فملأ قلبه جنون الحقد والغيرة، ولكى يتأكد مما سمعه قام برحلة الى (اندرابراستا) وهنـاك فوجىء بالمبانى الضخمة والحدائق الممتدة على جوانب الطرقات ، لكن أعظم ما رآه كان قصر (آل بانداف) .. الجدران مرصعة برقائق الذهب وبالأحجار الكريمة .. والستائر من قمـاش موشى بالذهب ، وفى كل ناحيـة مظاهر الثراء ، أما الوجوه المبتسمة فقد أكدت له مدى ما يتمتع به شعب المملكة من رخاء وسعادة ، ورغم شدة غيظه الا انه حاول أن يبدو هادئا امام ابناء عمه الذين رحبوا به ، ولكن !!

ما هـذه الزيـارة المفاجئـة ؟ همس (بيم) الى اخيـه (أرجون) :

ـ ترى ما سبب هذه الزيارة ؟

عند ذلك صوب الملك (دهار ماوترا) نظرة مقطبة الى اخوته جعلتهم يصمتون ، ثم قال لضيفه :

ـ دوريودان .. نحن سعداء بوجودك بيننا ، وسنكون اسعد لو بقيت معنا عدة أيام .

ووافق دوريودان ، لكن ما رآه بعد ذلك زاده حزنا ، فبقدر ما أذهلته ثروة أبناء عمـه بقدر ما امتلأ قلبـه بالحقد عليهم ، وبمجرد عودته الى مملكته أسرع الى خاله (ساكونى) وقال له :

ـ لقد فشلت كل خططنا السابقة لتدمير (آل باندا ف) والآن عليك أن تفكر فى خطة ناجحة للقضاء عليهم .

اجابه (ساكونى آ قائلا :

ـ ان الأمر قد أصبح الآن أصعب ، لقد صاروا أقوياء ومشهورين .

ـ تعنى أنك خائف منهم ؟

ـ لا يادوريودان ، انى لا أخاف أحدا .

ـ اذن فكر فى خطة ناجحة ، انى مصمم على ابادتهم .

ـ هناك خطة واحدة أضمن نجاحها .

ـ ما هى ؟

ـ أن تسرق مملكتهم .

ـ هذا مستحيل ، أن قتلهم أسهل !

ـ عليك أن تستمع الى خطتى دون أن تصرخ هكذا ، أن (دهارمايوترا) يعشق لعبة النرد ، هذه نقطة الضعف فيه ، وجه له الدعوة لزيارته ثم نلاعبه .

ـ لكنى لا اجيد اللعبة .

ـ انك لن تلاعبه ، أنا سألعب نيابة عنك ، ان لدى (زهرا) خاصا سأهزم به دهارمايوترا .

ـ واذا رفض أن يلعب .

ـ لن يرفض ، دع لى هذه المهمة .

ـ وماذا يكون رهان اللعب ؟

ـ فى البداية نراهنه على أشياء صغيرة ، ثم أشياء أكبر فأكبر ، حتى نراهنه على المملكة .

صفق دوريودان فرحا واغرق فى الضحك ثم قال :

ـ هذه فكرة بارعة ، سأوفد اليه رسولا فى الحال ، ولكن ؟ هل أنت واثق من الفوز ؟ انى لست مستعدا لأن أخسر مملكتى .

ـ لا تخف ، انى واثق من الفوز ، هيا ابعث برسولك اليه.

ذهب (دوريودان) الى أبيه وقال له :

ـ أبى ، أدع أبناء عمى ليزورونا ، اننا لم نرهم منذ زمن طويل .

ـ هذا صحيح يا ولدى ، ولكن ما سبب حبك المفاجىء هذا لأبناء عمك ؟ انى أعلم أنك لا تحبهم !!

ـ تماما يا أبى ، لكنى أود أن ألعب النرد ، ودهارمايوترا لاعب بارع .

ـ ان فكرتك تبدو بريئة ، لكنى واثق من أنك تدبر له مكيدة .

ـ لا لا يا أبى ، أنا ارغب فقط فى أن ألاعب (دهارمايوترا).

وذهب الرسول وعاد ومعه (آل بانداف) الخمسة وامهم وزوجتهم دوروبادى ، وذات يوم وهم جالسون فى حديقة القصر قال (دوريودان) لـ (دهارمايوترا) :

ـ ما رايك يا ابن عمى فى أن نلعب النرد ؟

ـ لم أعد ألعب .

ـ لماذا ؟

ـ لأن اللعب يجلب كثيرا من الشر .

ضحك دوريودان ضحكة ماكرة وقال :

ـ هل هذا هو السبب ؟ أم أنك خائف ؟

ـ انا لا اخاف شيئا ، لكني حقيقة أقلعت منذ زمان طويل عن اللعب .

قال الخال الشرير (ساكوني) :

ـ أظنك تكذب لأنك تخشى الهزيمة .

ـ لكي أثبت لكم اني لا أكذب ولست خائفا فسألعب دورا واحدا ، هيا .

نظر (دوريودان) الى خاله الذي اسرع يقول :

ـ ان (دوريودان) لن يلعب ، سألعب أنا نيابة عنه .

تدخل (بيم) قائلا لأخيه :

ـ اذن لا تلعب ، لا تلاعب الا دوريودان

قال (دهارمايوترا) لأخيه :

ـ سوف ألعب ، أنا لا يهمني من سيلاعبني .

ثم التفت الى (دوريودان) واضاف :

ـ ما هو رهان اللعب ؟

ـ ثروتي لقاء ثروتك ، من يكسب يأخذ ثروة الآخر .

ـ موافق .

وذار اللعب فخيبتر (دهارمايوترا) ثروته ، وسرعان ما قال لساكونى :

ـ العب دورا آخر

ـ ودار اللعب ثانية ، وثالثة ، ورابعة ، فخسر (دوريودان) فى كل مرة ، ضاعت منه أيضا جياده ، وعرباته ، وخدمه ، وجنوده ، وعاد ساكونى يسأله مبتسما :

ـ والآن ، علام تراهن للدور القادم ؟

وبينما (دهارمايوترا) يفكر .. قال دوريودان بهدوء :

ـ مملكتك امام مملكتى .

ـ عند ذلك تعالى لهاث الحاضرين ، وصرخ (بيم) فى اخيه قائلا :

ـ هذا أمر يدعو للسخرية ، كيف تخسر مملكتك فى مقابل ان تلعب النرد ؟

ظل دوريودان ينظر إلى (دهارمايوترا) لقد صدمت الخسارة (آل بانداف) صدمة مروعة ، لكن ساكونى راح يثير دهارمايوترا حتى هز راسه قائلا :

ـ موافق ، مملكتى مقابل مملكتك يا (دوريودان) !

وتوسل الأخوة الأربعة الى اخيهم لكى لا يلعب ، وتجرأ احدهم وقال له :

ـ هل أصابك الجنون ؟

لكن (دهارمايوترا) لم يستمع لتوسلات أخوته وبدأ اللعب ، خيم على المكان سكون عميق ، حتى صاح دوريودان معلنا .

ـ لقـد كسبت ! أنا الآن ملك (هاستينابور) و (انـدرا براستا) هل تتوقف عن اللعب يا ابن عمى ؟

قال الخال الشرير ساخرا :

ـ ولماذا يتوقف ؟ لايزال لديه اخوته ، اليس كذلك ؟

كان (دهارمايوترا) قد غرق فى الخجل والحزن ، مما افقده السيطرة على أعصابه فراح يراهن على أخوته واحدا فواحدا حتى خسرهم جميعا ، وضحك ساكونى فرحا وسأل :

ـ والآن ، علام ستراهن ؟

قال (دوريودان) هاتفا :

ـ خالى !! لم يعد لديه شىء يراهن عليه .

ثم راح يتلفت حوله مفكرا ، وفجأة اضاءت وجهه ابتسامة شريرة فقال :

ـ مازال لديه شىء ثمين يا خالى ، بل هو اثمن ما لديه .

نظر الجميع اليه ، ماذا يعنى بهذه الكلمات !

أضاف (دوريودان) :

ـ لديه دوربادى ! فليراهن عليها .

علق فيدورا قائلا :

ـ هل جننت يا دوريودان ؟ كيف تجرؤ على ادخال دوربادى فى مثل هذا ؟

ـ لا دخل لك بهذا يا خـالى ، هـذا أمر بين أبناء العم ، ما رأيك يا ابن عمى ؟ هل تراهن عليها ؟ ام تخاف ان تخسرها ؟

ـ قلت لك انى لا أخاف شيئا ، سأراهن عليها .

ودار اللعب فخسر دهارمايوترا أيضا ، خيم على القاعة صمت كالموت ، الى أن قال دوريودان :

ـ دهارمابوترا ؟ سأعطيك فرصة أخرى ، فاذا كسبت سأعيد اليك مملكتك وكل ما خسرته اليوم ، واذا خسرت سأنفيك الى مكان بعيدة لمدة أثنى عشر عاما ، ثم فى العام الثالث عشر عليك أن تختفى عن العيون ، فاذا رآك أحد خلال ذلك العام سأنفيك اثنى عشر عاما اخرى ، أما اذا نجحت فى الاختفاء فسأعيد اليك مملكتك ، موافق ؟

لم يكن أمام (دهارمايوترا) خيار فوافق ، لكنه خسر اللعب مرة أخرى ، عند ذلك انتصب دوريودان واقفا وقال لواحد من أخوته :

ـ هيا ، اخلع عن آل بانداف ملابسهم الثمينة ، ان كل ملابسهم اصبحت ملكى .

وخلع (آل بانداف) ملابسهم ، وارتدوا الخرق البالية التى قدمها لهم الخدم ، ومع ذلك لم يكن دوريودان راضيا كل الرضا ، فهتف صارخا :

ـ احضروا دوروبادى ، انها الآن عبدتنا

صرخ فيه (بيم) قائلا :

ـ يا لعارك ! الا تخجل من وصف دوربادى بانها عبدة ؟

نظر اليه دوريودان بجفاء وقال :

ـ لا تنس انك انت ايضا اصبحت عبدنا ، والعبيد لا يرفعون اصواتهم هكذا .

ونادى بصوت آمر على احد أخوته قائلا :

ـ دوبناسانا ! احضر دوربادى الى هنا .

أسرع دوساسانا الى داخل القصر حيث التقى بدوربادى وقال لها :

ـ لقد خسرك زوجك فى اللعب وانت الآن ملك أخى دوريودان وهو يطلب أن تذهبى اليه .

ـ انا لا اصدقك .

ـ عندما تأتين معى اليه ستصدقين ، هيا !

ـ انا ارفض أن آتى معك .

ـ اذن سأجرك جرا الى هناك .

ـ انت لا تجرؤ على هذا .

ـ هذا رأيك ، هل ستأتين ؟

ـ قلت لك انا ارفض .

عند ذلك امسك دوساسانا بخصلات شعرها الطويل واخذ يجرجرها عبر حجرات القصر حتى القاعة ، دهش جلساء الملك لكنهم لم ينطقوا بكلمة ، وهتف دوريودان :

ـ دوساسانا ، اخلع عنها هذا السارى ، انه الآن من املاكنا .

ـ صرخ فيه (بيم) :

ـ انك لا تجرؤ على هذا الفعل .

صرخ فيه دوريودان :

ـ أغلق فمك ، دوساسانا ، نفذ ما أمرتك به .

امسك دوساسانا بالساري وبدأ يسحبه من على جسدها ، عند ذلك هوت دوربادي على الأرض وراحت تصرخ :

ـ النجدة يا الهي كريشنا ! النجدة !

ضحك دوريودان بسخرية وقال :

ـ هيا ، نادي على كريشنا ، دعينا نرى ان كان يستطيع أن يساعدك .

وظلت دوربادي ترتل باسم كريشنا وهي ملقاة على الأرض ، وفجأة ، توقف دوريودان عن الضحك ، وحدق الجميع نحو دوساسانا ، كان قد حدث شيء غريب ، فكلما جذب دوساسانا جزءا من الساري ازداد طول الساري حول جسد دوربادي ، الى أن تصبب العرق من جبين دوساسانا واخذ يلهث من التعب ، كان ما تكوم على الأرض من قماش الساري قد أصبح مثل ربوة عالية ، لكن الساري لايزال يزداد طولا حول جسد دوربادي ، واخيرا طوح دوساسانا بما في كفيه من أطراف الساري وارتمى على الأرض ارهاقا ، ولعدة دقائق لم يتكلم أحد ، الى أن دوى صوت (بيم) كالرعد .

ـ دوريودان ؟ لقد ارتكبت اليوم عملا شريرا ، وستلقى جزاءك عليه ، اني أعطى وعدا أمام كل الحاضرين بأني سأقتلك يوما بيدى هاتين ، وسوف اقطع يد دوساسانا اليمنى التى جذبت دوربادى من شعرها .

واتجه آل بانداف وأمهم (كونتي) الى منفاهم في الغابة .. وبصحبتهم الزوجة دوربادي .

أقام (آل بانداف) كوخا لهم بين أشجار الغابة ، حيث لم يكن من السهل أن يجدوا طعامهم كل يوم ، مما جعل الملكة السابقة الفاتنة (دروبادى) دائمة البكاء والنشيج .

انزعج (دهارمابوترا) لبكاء زوجته فانقطع عن تناول اى طعام ، واخذ يصلي الى اله الشمس حتى تجسد أمامه حاملا في يده وعاء وقال له :

ـ هذا الوعاء سوف يعطيكم ما تحتاجون اليه من طعام ، مرة في الصباح ومرة في المساء ، هاك الوعاء وحافظ عليه جيدا .

فرح (دهارمابوترا) ، فمنذ الآن يستطيع ان يقدم الطعام لاخوته وأمه وزوجته جاهزا ودون عناء .

وفي مملكة (هاستينابور) كان (دوريودان) يفكر كيف يمكن ان يسبب لأبناء عمه مزيدا من الشقاء ، وذات يوم جاءته الفرصة، زاره احد القديسين الجوالين وبصحبته مئات من اتباعه ، قال دوريودان للقديس :

ـ ان أبناء عمي يعيشون في غابة (كانياكا) ، لماذا لا تزورهم مثلما زرتنا ؟ انهم سيسعدون بك وباتباعك .

اجابه القديس :

ـ نعم ، بالتأكيد على أن ازورهم .

كان الشرير (دوريودان) يهدف الى ان يضع أبناء عمه في مأزق ، انهم لن يستطيعوا اطعام القديس واتباعه ، وعند ذلك سيصب القديس عليهم غضبه ولعناته .

وصل القديس واتباعه الى كوخ (آل باندا ف) بعد الظهر بقليل ، لم يكن الاخوة الخمسة هناك فرحبت دروبادى بضيوفها

وراحت تمهـد لهم أمـام الكوخ مكانا للجلوس ، لكن القـديس قال لها .

ــ اننا لن نجلس الآن ، سنذهب الى النهر لنستحم أولا حتى تعدى لنا الطعام .

واصل القديس واتباعه السير الى النهر القريب ، بينمـا جلست (دروبادى) داخل الكوخ مضطربة وحزينـة ، ان الوعاء الذى وهبه لهم اله الشمس قد أعطـاهم طعام الصباح ، ولن يعطيهم طعاما آخر الا فى المساء !! سيغضب منها القديس اذن ويصب لعناته عليها وعلى (آل بانداف) ، الا يكفيهم ما يعانونه فى الغابة من آلام فوق طاقة البشر ؟ ماذا يمكن ان يصيبهم أيضـا اذا غضب عليهم القديس ؟ ! ووجدت نفسها تصرخ باكية :

ــ ايها الاله كريشنا !! ماذا يمكن أن يحدث الآن ؟ !

واذا بها ترى ظلا قادما من بعيد ، وتوقف الظل عند باب الكوخ ، حـدقت فيه دروبادى فـاذا به كريشنا ، هرعت اليه هاتفـة :

ــ اوه كريشنا !! لقد جئت فى الوقت المناسب .

ــ لمـاذا ؟

ــ لأنى فى مأزق فظيع .

وراحت تحكى له كل شيء ، الى أن ابتسـم لها كريشنا وقـال :

ــ انك حقا فى مأزق ، اذا عاد القديس الآن ولم يجد الطعام جاهزا فماذا ستفعلين ؟

ــ ارجوك ، اني اسالك ماذا افعل ؟

ـ حسنا ، اذهبی وهاتی الوعاء .

ـ لمـاذا ؟

ـ لا تسألینی ، اذهبی وهاتی الوعاء .

وأتت (دروبادی) بالوعاء ، أخذه کریشنا بین یدیه ، مال علی فوهته وهمس ببضـع کلمات ثم هتف :

ـ أوه !! ان فی الوعاء حبة أرز باقیة فی القاع .

صرخت دروبادی :

ـ هل تسخر منی ؟ ماذا یمکن ان افعل بحبة ارز ؟ !

ـ یا للنساء !! کلهن لا یعرفن الصبر !!

ومد یده الی القـاع فأخرج حبـة الأرز ، ابتلعها ثم تنهد بارتیاح کمن تناول وجبة ثقیلة ، فی نفس تلك اللحظـة کان القدیس واتباعه یخرجون من النهر وهم فی غایة الدهشة ، لقد احسوا بنفس احساس کریشنا ، تنهدوا جمیعا بارتیـاح کأنهم تناولوا وجبـة ثقیلة ، وقف القدیس علی شاطیء النهر یفکر ویسـأل نفسه : ما سبب هـذا الذی حدث ؟ وما معناه ؟ ان هـذا بالتأکید من أعمال کریشنا ، لم یکن مناسـبا أن أطالب (دروبادی) بطعام لی ولأتباعی ، من أین کان یمکنها أن تطعمنا ؟ انی لم أکن علی صـواب !!

وفی طریق عودتهم من النهر التقی القدیس واتباعه بالاخوة الخمسة (آل بانداف) ، قال لهم القدیس :

ـ ابلغوا دروبادی بأننا لسنا فی حاجة الی طعـام ، وبأننا لن نعود الیها بل سنواصل رحلتنا من هنا .

اقتربت من نهايتها سنوات النفى فى الغابة ، وذات يوم جلس الاخوة الخمسة معا ليخططوا للسنة الثالثة عشرة ، انها السنة التى عليهم أن يختبئوا أثناءها تماما لأنه اذا تعرف أحد عليهم فسيعودون الى النفى فى الغابة اثنى عشر عاما أخرى ، قال (دهارمابوترا) :

ــ قبل أن تبدأ السنة الثالثة عشرة يا أرجون أريدك أن تسافر الى الهملايا .

ــ لماذا ؟

ــ لتحصل على سلاح شيفا .

سأل بيم :

ــ ولماذا نحتاج الى سلاح شيفا ؟

ــ لأن دوريودان سيرفض أن يعيد الينا مملكتنا ، وسيكون علينا أن نحارب لنستعيدها ، أنا متأكد من صحة ما أقول .

صرخت دروبادى فى انزعاج :

ــ سيقتلونكم !! ان أبناء عمك لديهم جيش ضخم بينما ليس لديكم شىء !!

أجابها (دهارمابوترا) :

ــ لدينا الأصدقاء .

قال ارجون :

ــ يجب أن نكسب شيفا فى صفنا .

هز (بيم) رأسه موافقا ثم قال :

ـ اذا كان شيفا فى صفنا فسنكسب أى حرب .

قال (دهارمابوترا) :

ـ سنخطط لذلك فيما بعد ، والآن يا (أرجون) عليك أن تنطلق الى الهملايا وتعود بالسلاح .

فى صباح اليوم التالى ودع ارجون اخوته و (دروبادى) وبدأ السفر ، وبعد مخاطرات عديدة وصل الى الهملايا ، وذات يوم بينما كان يتجول فى غابة كثيفة فوق الجبال وقوسه فى يده رأى خنزيرا بريا يمرق بين الأشجار ، فى اللحظة التالية كان (ارجون) قد اطلق من قوسه سهما استقر فى جسد الخنزير واسقطه ارضا ، اسرع اليه (ارجون) ففوجىء بأن فى جسد الخنزير سهمين لا سهما واحدا ، تعجب (ارجون) ، ترى من الذى أطلق السهم الثانى ؟ ! راح يتلفت حوله فرأى رجلا وامرأة قادمين نحوه من بعيد ، كان الرجل يمسك بيده قوسا ضخما ومن على كتفه تتدلى سهام عديدة يحدث احتكاكها اصواتا عالية ، قال الرجل لأرجون :

ـ هذا الخنزير من حقى فأنا الذى اصبته بسهمى أولا .

قال ارجون وقد استبد به الغيظ :

ـ بل هو حقى فأنا الذى اصبته اولا .

ـ لا تناقض كلامى ، أنا اصبته أولا .

ـ من انت ؟

ـ انا (كيراتا) ، صياد أعيش هنا فى الغابة وهذا الخنزير لى .

ـ هو ليس لك ، انا واثق من انى اصبته بسهمى أولا .

ـ وأنا لا أصدقك .

غضب ارجون غضبا أكبر اهذه الاهانة وقال للرجل :

ـ كيف تجرؤ على أن تكلمنى بهذا الشكل ؟ انى سأعاقبك على هـذا ، استعد للدفـاع عن نفسك ، سأحاربك لأقنعك بأنك مخطىء .

عند ذلك ابتعدت زوجة كيراتا ، ورفع الرجلان قوسيهما للقتال ، كان كل منهما رجل حرب بارعا فلم يستطع أحدهما أن يهزم الآخر ، وأخيرا طوح (أرجون) بسهمه بعيدا وهجم على الرجل بيديه ، وطوح الرجل بسهمه أيضـا واستخدم يديه ، لكن القتال ظل متكافئا ولم يهزم أحدهما الآخر ، بدأ (أرجون) يلهث من التعب بينما الرجل كامل النشاط كأنه لن يتعب الى الأبد ، توقف (أرجون) لحظـة عن القتال محدقـا فى وجـه (كيراتا) ، كان الرجـل ينظر الى (أرجون) مبتسما ، اغـلق (أرجون) عينيه وصلى الى (شيفا) ، ثم فتح عينيه وتقدم فى هدوء راكعا عند قدمى كيراتا وهتف :

ـ أنت شيفا

ـ نعم انا شيفا ، وكم أنا سعيد بك فأنت محارب ممتاز !!

نهض ارجون سعيدا وقال :

ـ لقد تعجبت فعلا كيف لم استطع ان أهزمك !!

ـ هل تعتقد انك ابرع من يرمى بالسهام ؟

ـ نعم ، الا تشهد لى بذلك ؟

ابتسم شيفا وهز راسه موافقا ثم قال :

ـ أشهد لك ، ولذلك سأعطيك سلاحى ، انه سلاح قاتل ، من يملكه لا يهزم أبدا .

بهذه الكلمات اختفى كيراتا وزوجته ، وتسلح أرجون بسلاح شنيفا ، وبدأ يهبط الجبل فى طريق عودته الى اخوته .

وقرر (آل بانداف) أن يرحلوا فى جنح الليل الى مملكة فيراتا ، وهناك يتنكرون ويعملون خدما فى البلاط حتى تنتهى السنة الثالثة عشرة ، رغب (أرجون) فى أن يعمل هناك طباخا .. لكى يستطيع أن يأكل كثيرا .. بعد أن هدت قواه سنوات النفى فى الغابة ، لكن اخوته اختاروا له أن يتنكر فى زى فتاة .. خاصة أنه وسيم ويجيد الرقص والغناء ، كما اختاروا لملكتهم (دروبادى) أن تعمل منسقة للزهور فى بلاط فيراتا .

كان الطريق الى هناك شاقا وطويلا ، وبعد أن قطعوا مسافة طويلة أعياهم الاجهاد والعطش .. فجلسوا فى ظل شجرة عالية ، وتسلق أصغرهم (ساهاديف) أعلى الشجره لعله يرى فى المنطقة مكانا به ماء ، ومن فوق الشجرة هتف (ساهاديف) :

ـ انى أرى بحيرة قريبة .

ثم هبط سريعا وراح يجرى حتى وصل الى بحيرة هادئة صافية وهم بأن يروى عطشه .. لكنه سمع صوتا يحذره بألا يشرب ، تلفت حوله فلم ير الا طائرا قريبا منه يشبه البجعة ، قال فى نفسه لابد انى توهمت سماع الصوت لأن الطيور لا تتكلم ، وراح يشرب حتى أطفأ ظمأه ، وفى اللحظة التالية انكفأ على شاطىء البحيرة ميتا .

ولما طال انتظار اخوته له .. تبعه ثلاثة منهم الى البحيرة واحدا تلو الآخر ، ورغم أن الطائر حذر كلا منهم الا انهم شربوا

من البحيرة وماتوا ، وذهبت خلفهم (دروبادى) ، وهنـاك رأت أربعة من أزواجها موتى ، ورغم أن الطائر حذرها أيضا الا أن الظمأ الشديد دفعها الى الشرب من البحيرة فماتت .

ودفع القلق (دهار مابوترا) الى البحث عن اخوته وزوجته، وعند شاطىء البحيرة راى جثثهم فأطلق صرخة فزع حادة ، من ذا الذى استطاع أن يقتل (بيم) أقوى رجل على الأرض ؟ ! والمحارب العظيم (أرجون) ؟ ! واذا بصـوت الطائر يرد عليه :

ـ لم يستمعوا لنصيحتى بعدم الشرب من البحيرة ، وانى أحذرك أيضا ، وأطالبك بأن تجيب على أسئلتى .

وراح الطـائر يوجه له أسـئلة عديدة عن الانسـان .. والعقيدة .. والحياة والموت ، وأجابه دهارمابوترا اجابات سديدة، عند ذلك انقلب الطـائر الى (ياما) ملك الموت وقال :

ـ انت رجل حكيم حقا ، وعليك أن تسلك طريق الحق دائما لكى تنتصر ، وسأعيد اليك اخوتك وزوجتك .

وفى الحال وفى ملك الموت بوعده واعـاد الموتى الخمسة الى الحيـاة .

واصل (آل بانداف) رحلتهم الى (فيراتا) ، ونجحوا فى التنكر والالتحاق بخدمة البلاط .. حيث قضـوا أحد عشر شهرا فى سـلام ، وفى الشهر الثانى عشر واجهت (دروبادى) مشـكلة قاسية .. فقد وقع أخو ملك (فيراتا) فى حبها ، واعترف لها بحبه طالبا يدها للزواج ، فأجابته دروبادى :

ـ ان لدى أزواجى الخمسة .

ـ انى أقوى منهم جميعا واستطيع أن أقتلهم .

ـ انك لا تستطيع .. وأنا لا أريدك أن تفعل .

لكن العاشق ظل يطاردها حتى سمع (بيم) بالأمر .. فانتهز أول فرصــة واتته وقتل شقيق الملك فى الظلام .

كان القتيل صديقا ل (دوريودان) .. فلما علم بالنبأ قال لاخوتـه :

ـ لقد كان القتيل فى غاية القوة والشجاعـة ، لا يمكن أن يستطيع أحد قتله الا (بيم) ، لابد أنه هناك ، فلنستعد فورا للهجوم على (فيراتـا) ، وهنـاك سأتعرف على (آل بانداف) وأعيدهم الى النفى فى الغابة اثنى عشر عاما أخرى .

وسرعان ما قاد (دوريودان) جيشه وانطلق ، وعلم بذلك ملك فيراتا فدعا جنوده للاقاة الجيش المهـاجم وتقدمهم ، واذا (بيم) يهرول الى الملك متضرعا اليه أن يسمح له بالخروج معهم للقتال ، قال له الملك :

ـ لكنك مجرد طباخ !!

ـ لست طباخا ، أنا بيم ، هل تفهم ؟ ! أنا بيم .

ـ أنت من (آل بانداف) ؟ !

ـ نعـم .

ـ وأين اخوتك ؟

وعرفـه بيم باخوتـه المتنكرين خدما فى القصر ، وخـرج آل بانداف فى مقدمة جيش فيراتا .

والتقى الجيشان ، كان دوريودان يقود جيش هاستينابور ، وقد تعرف هو وأعوانه على (ابرجون) بمجرد أن رأوه فوق حصانه فى ساحة القتـال التى ازدحمت بالسيوف والدروع وصـهيل

الخيل وصرخات الجرحى ، تزايدت وحشية المعارك ، لكن جيش فيراتا كان أقوى وأشجع فتقهقر جيش (آل كوراف) حتى عاد أدراجه ، وعاد جيش فيراتا الى مملكته سعيدا مع الملك القائد ومع (آل بانداف) الذين قاتلوا ببسالة أفزعت الأعداء وكلفتهم آلاف القتلى .

وبعد أن انتهت احتفالات النصر نصح ملك فيراتا ضيوفه (آل بانداف) أن يرسلوا الى « دهارمابوترا » يطاليونه باعادة مملكة « اندرا براستا » اليهم ، ونفذ (آل بانداف) النصيحة ، لكن دهارمابوترا سلم الرسول رسالة الى أبناء عمه تقول :

ـ انى أرفض اعادة المملكة اليكم ، فاذا كنتم متمسكين بها دوريودان مخاطبا كريشنا :

***

وذهب أرجون الى كريشنا يطالبه بأن يكون فى صفهم عندما تقوم الحرب ، وفى قصر كريشنا فوجىء أرجون بأن عدوه دوريودان جاء يطلب نفس الطلب ، كان كريشنا نائما ، وعندما استيقظ وذهب الى قاعة العرش حيث كان الزائران ينتظران .. صرخ دوريودان مخاطبا كريشنا :

ـ أنا جئت أولا ، فأنا اذن أحق بمعاونتك .

يسأله كريشنا :

ـ أنا اعرف أنك جئت أولا ، لكني عندما دخلت الآن الى قاعة العرش .. وقع بصرى أولا على أرجون ، ولكى أكون عادلا فلن أشترك بنفسى فى الحرب ، بل سأقدم جيشى لأحدكما .. وأعمل قائدا لعربة الآخر الحربية ، وبما أنك حضرت الى قصرى أولا .. فلك أن تختار ، هتف دوريودان بأعلى صوته :

ـ أختار جيشك .

ابتسم كريشنا سخرية من دوريودان ، اذ ما فائدة الجيش اذا لم يتول قيادته كريشنا ؟

***

وتحرك الجيشان ، وذات صباح لاح كل منهما للآخر ، وعندما رأى أرجون أبناء عمه وأعمامه وبقية أقاربه على الجانب الآخر التفت الى كريشنا وقال له :

ـ ما الفائدة من هذه الحرب ؟ اننا سنقاتل أهلنا وشعبنا ، وقد نقتلهم جميعا ، أليست هذه خطيئة ؟

أجابه كريشنا :

ـ لا يا ارجون ، ليست خطيئة ، انهم ظالمون وسرقوا مملكتكم .

ـ وما فائدة المملكة اذا قتلنا شعبها ؟ لست أريد المملكة ، سأعود الآن قبل أن ارتكب خطيئة الحرب والقتل .

ـ تنسحب من المعركة يا أرجون ؟

ـ نعم ، لست أرغب فى قتل شعبى .

ـ لكنك تحارب من أجل الحق ، ليس مهما من تحارب ، بل من اجل ماذا تحارب ، هذا ما جاء فى كتاب (الجيتا) المقدس .

وهكذا بدأت الحرب الطاحنة بين آلاف الرجال والخيل والأفيال ، بين زوابع الغبار والتماعات السيوف ، وبدأ الجنود يتساقطون هنا وهناك مثلما يتساقط الذباب ، وقبل أن ينتهى

النهار كانت ساحة القتـال قد امتلأت بجثث القتلى والجرحى ومن يصارعون الموت ، ومع غروب الشمس انسحب كل جيش الى معسكراته انتظارا للصباح الجديد .

وظلت المعـارك تشتعل يوما بعد يوم ، فى كل يـوم يموت آلاف الرجال والحيوانات دون أن ينتصر أحد الجيشين ، وذات يوم طلب الملك السابق (دهارمابوترا) من (أبهيمانيو) ابن أخيه (أرجون) طلبـا لا يقوى على تنفيـذه الا شـجاع عنيد ، قـال دهارمابوترا :

ـ ان جيش دوريودان أصبح أمامنا حائطا كثيفا من الجند ، ولقد علمك أبوك فنون الحرب ، فعليك أن تكسر هذا الحائط .

قال أبهيمانيو :

ـ نعم ، أستطيع أن أكسر حائط الجند ، لكنى لا أعرف كيف أهرب من الأسر على الجانب الآخر .

ـ لا تخف ، هيا تول قيادتنا ونحن من خلفك .

فرح الصبى بثقة عمه ، كان فى السادسة عشرة وشجاعا كأبيه ، قفز فوق عربة القيـادة واقتحم حائط جند الأعـداء فاخترقه وأصبح فى أرض العدو ، ولم يستطع أعمامه وجنودهم أن يتبعوه فقد التحم حائط الجند سريعا واشتدت ضراوة القتال، وفى الجانب الآخر من ساحة القتـال انهالت سهام الأعداء على (أبهيمانيو) كالمطر .. لكنهم لم يهزموه ، جن جنون دوريودان فأمر سبعة من أقوى المحـاربين أن يحاصروا الصبى الذى امتلأ جسده بالجراح النازفة دون أن يتوقف عن القتال ، ورغم أن الصبى واجه المحاربين السـبعة بشجاعة بالغة لكن أحد سـهامهم أصابه فى القلب فهوى من فوق حصـانه جثة هامدة ، هلل دوريودان وجيشه

فرحا ، لكن المحساربين السبعة الذين قتلوا الصبى أصابهم الخوف من انتقام أبيه (أرجون) .

كان أرجون يحارب فى أقصى ساحة القتال ، فلما عاد مع الغروب ووجد اخوته يبكون على ضياغ (أبهيمانيو) صرخ قائلا :

ـ أقسم على انى غدا .. وقبل غروب الشمس .. سأنتقم لابنى .

وعلى الجانب الآخر كان (آل كوراف) يحتفلون فرحا بموت الصبى .. كبداية لاستسلام (آل بانداف) وعودتهم الى الغابة ، لكن جواسيس (آل كوراف) جاءوا بالنبأ الذى ملأ قلوب (آل كوراف) بالرعب .. وهو قسم أرجون بالانتقام ، فجمع دوريودان قواده وقال لهم :

ـ انا أعرف معنى القسم الذى أقسمه ابن عمى ارجون ، انه سيبدأ بالانتقام من القائد (جايدرات) الذى سد طريق العودة على (أبهيمانيو) ، فاذا نجحنا فى حماية (جايدرات) فان أرجون سيقتل نفسه ، وينتهى بذلك (آل بانداف) .

***

كان اليوم الرابع عشر منذ بدء الحرب .. عندما زحف أرجون بعربته التى يقودها كريشنا ، فى البداية التقى أرجون بمدربه القديم (درونا) ، فأشار لكريشنا أن يغير مسار العربة بعيدا عنه ، تعجب درونا الذى ظن أن أرجون سيقتله ، وسأله :

ـ لماذا تبتعد دون أن تحاربنى يا أرجون ؟

ـ لأنك كنت معلمى ، ولست أستطيع أن أحارب معلمى .

وقـــاد كريشنا العربة بمهـــارة فاخترق الصف الأول من جيش الأعداء ، وفى الصف الثانى كان هناك دوريودان ، انهالت عليه سهام أرجون حتى فر هاربا بجراحه ، وراح أرجون يخترق الصفوف واحدا تلو الآخر تاركا حوله مئات القتلى حتى وقعت عيناه على (جايدرات) ظل حراس (جايدرات) يدافعون عنه ضد سهام أرجون .. لكن معظمهم سقطوا قتلى ، وأصبح أرجون وجها لوجه مع (جايدرات) فاشـــتبك معه فى قتال وحشى دون أن ينجح أرجون فى قتل جايدرات ، لكن كريشنا همس فى أذن أرجون قـــائلا :

ـ ان النهار لم ينته بعد ، كل ما حدث أننى خبأت الشمس حتى تنتقم لقتل ابنك .

عند ذلك ازداد أرجون شجاعة فى الهجوم على (جايدرات) حتى استطاع أن يصـــوب سهما الى رأسه فهشمه ، عند ذلك تراجع المساء ، وعادت الشمس فأضاءت ساحة القتال .

فى احدى المعارك التالية التقى (بيم) بالشرير (دوساسانا) الذى جر (دروبادى) ذات يوم من شـــعرها وشق ثيابها فى قصر (هاستينابور) ، عند ذلك صرخ بيم صرخة غضب مفزعة ، وقفز من فوق حصـــانه ملقيا بنفسه فوق (دوساسانا) فطرحه أرضا وحطم رأسه بمؤخرة السيف ، ثم قطع ذراعه اليمنى ونهض واقفا يرقص حول الجثة ، هكذا بر بيم بالقسم الذى أقسمه منذ سنوات بعيدة بأن يقطع الذراع التى شقت الثياب عن جسد (دروبادى) .

وفى مكان آخر من ساحة القتال ، التقى أرجون بابن كارنا فقتله ، ولمـــا حـــاول كارنا الانتقام منه بسهم مسموم .. تفادى أرجون الســـهم واســـتطاع أن يقتل كارنا ، ثم تمكن من قتـــل (درونا) ، وطارد (بيم) و (دهارمابوترا) ابن عمهما (دوريودان)


devender

فى البحيرة التى هرب اليها ليخفف بمائها آلام جروحه ، فلما رآهما دوريودان صرخ رعبا وضعفا :

ــ لقد فقدت رفاقى ، انى لم أعد راغبا فى الحياة !!

قال له دهارمابوترا :

ــ اتتك الحكمة متأخرةيا دوريودان ، ألست أنت الذى ارادالحرب ؟ لمـــاذا تهرب الآن من أرض المعركة ؟

ــ اننى لست جبانا واستطيع ان اقاتلكما وحدى .

قال له بيم :

ــ هل تذكر العهد الذى أخذته على نفسى فى قصرك منذ ثلاثة عشر عاما ؟

ورفع بيم هراوته الغليظة وهوى بها على راس دوريودان .. الذى أنكفأ فورا على شاطىء البحيرة لافظا آخر أنفاســـه ، لكن الغضب فى صـــدر بيم كان ما يزال مشتعلا .. فرفع قدمه ليدوس بحذائه راس القتيل ، ولكن (دهارمابوترا) منعه من ذلك قائلا :

ــ انه ابن عمك ، ولقد تحاربتهما بشرف ، وهو الأن يموت ، ليس من حقك أن تزيده عـــذابا ، ولا ضرورة تدعوك لأن تكون وحشـــا .

وجذب دهارمابوترا اخاه نحو ساحة القتال تاركين دوريودان يموت وحده فى الخـــلاء ، وفى ساحة القتـــال وجد الأخوان أن الحرب قد انتهت .. بعد ان ازدحمت الأرض بالجثث والأشلاء والدمـــاء .

قتل فى الحرب (آل كوراف) المـــائة ، وفقد (آل بانداف) اعز واشجع الأبناء ، وبعد طقوس حرق آلاف الجثث فى ساحة

القتال .. انطلق (آل باندافا) فى عربات فاخرة صوب مملكتهم القديمة (هاستينابور) ، وهناك خرج الشعب لاستقبال ملكهم دهارمابوترا واخوته بالزينات والأغاريد والفرح .

ودخل الأخوة الى القصر العظيم .. الذى قضوا فيه أحلى سنوات الطفولة والصبا .. والذى خسروا فيه أملاكهم ومملكتهم فى لعبة الميسر اللعينة ، وسار كريشنا يتقدم دهارمابوترا نحو عرش آبائه ، بينما كانت تراتيل (الفيدات) المقدسة وأغنيات الفرح تزف دهارمابوترا مرة أخرى الى عرش هاستينابور .

(النهاية)

وحكم دهارمابوترا المملكة حكما عادلا وحكيما ، فسعد شعبها وعمها الرخاء ، وتقاطر الناس من الممالك البعيدة الى بلاط دهارمابوترا ليستمعوا الى كلماته الحكيمة ويتعلموا من سلوكه القويم .

وبعد خمسة عشر عاما قرر الملك السابق الأعمى أبو دوريودان وزوجته أن يعيشا بقية حياتهما متعبدين فى الغابة ، واتخذت (كونتى) والدة (آل باندافا) نفس القرار ، لم يكن (آل باندافا) يتحملون رحيل أمهم عنهم ، لكنها تمسكت برأيها حتى رضخوا ، بنوا لها فى الغابة كوخا رحبا مزودا بكل وسائل الراحة ، حيث عاش الثلاثة المسنون سنوات قليلة .. حتى كان ذات يوم شبت فى الكوخ نار عاتية .. حاصرت سكان الكوخ الثلاثة والتهمتهم .

[illegible]هد الحزن (آل باندافا) على أمهم الطيبة الصابرة التى وقفت الى جانبهم فى أصعب الأوقات ، وكان حزن (دهارمابوترا) أثقل من قدرته على الاحتمال ، فجمع اخوته ذات يوم وقال لهم :

ــ لقد قررت أن أهجر المملكة وأرحل .

ـ الى أين ؟

ـ الى الهملايا.

قال بيم :

ـ اذن دعنى أذهب معك .

وهب أرجون وأخواه التوام واقفين وقالوا معا :

ـ ونحن أيضا سنذهب معك .

قال دهارمابوترا :

ـ ومن يرعى المملكة ؟ انى اذهب لأنى فقدت الرغبة فى الحياة ، وأود أن أقضى أيامى الباقية فى الصلاة .

ـ ونحن أيضا .

ـ والمملكة ؟ لابد للمملكة من ملك !!

قال بيم :

ـ لدينا (باريكشيت) ابن (أبهيماينو) ، ننصبه ملكا ثم نذهب معك .

ـ ولو أنه ما يزال صبيا ، ولكن .. لا بأس .

وفى اليوم التالى نصب (باريكشيت) ملكا على (هاستينابور) وبعد الحفل مباشرة بدأ (آل بانداف) رحلتهم نحو الهملايا .

كان ارتقاء الجبال شاقا على ملكتهم الرقيقة (دروبادى) ، لكنها تبعتهم متعثرة لاهثة ، وفجأة لم تستطع أن تحمل جسدها فسقطت حيث هى ، وقبل أن يهبط اليها أزواجها كانت قد أسلمت الروح .

جلس الأخوة حول جثة (دروبادى) ينتحبون فى صمت ، وبعد أن أقاموا لها طقوس الحرق واصلوا رحلتهم .



كان كلبهم يتبعهم منذ غادروا (هاسيتنابور) ، وقبل أن يكمل الأخوة رحلة صعود الجبل كان الأخوان التوأم قد ماتا من شدة الارهاق ، ثم تبعهما (أرجون) ، ثم (بيم) .

أحس (دهارمابوترا) أن قلبه قد أصبح شظايا ، لكنه واصل صعود الجبل .. وحيدا الا من كلبه الوفى المناضل من أجل الوصول الى قمة الجبل .

وفجأة ، ظهر الاله (اندرا) وقال لدهارمابوترا

ـ ان كل الآلهة سعداء بك ، هيا فقد جئت لآخذك الى السماء .

ـ سأذهب معك اذا وافقتنى على أن آخذ كلبى معى

قال اندرا فى دهشة واستنكار :

ـ مستحيل . ان السماء ليست للكلاب

ـ اذن فأنا ارفض أن آتى معك .

ـ ماذا ؟ ترفض السماء من أجل هذا الكلب ؟

ـ نعم ، لقد تبعنى باخلاص طوال الرحلة الشاقة ، كيف اتخلى عنه الآن ؟

وبينما دهارمابوترا يتحدث الى اندرا .. كان الكلب قد تلاشى وحل مكانه الاله (دهارما) الذى قال لدهارمابوترا :

ـ لقد تبعتك الى هنا لأختبر وفاءك وصلاحك ، انى سعيد بك ، هيا الى السماء فقد كسبت لنفسك مكانا هناك .

وارتفع دهارمابوترا بصحبة الاله (دهارما) الى بيته الأبدى السعيد فى السماء .

(تمت)


الراماينا

نبذة عن

الرامايــانا

يختلف الباحثون فى تاريخ الرامايانا ، فمنهم من يقول انها ترجع الى عام ١٥٠٠ قبل الميــلاد ، ومنهم من يقول انها ترجع فقط الى عام ٤٠٠ قبل الميلاد ، وهى ملحمــة كتبها شاعر الهند العظيم « فالميكى » الذى تحتفل الهند الحديثــة بذكراه احتفالا قوميــا كل عام ، والرامايانا واســعة الانتشار بين كل طبقات الشــعب الهندى ، تحكى للأطفال قبل النوم ، وكثيرون يرتلون جزءا منها كل يوم ، وتروى شــعرا فى الأعياد والمناســبات ، وتقدم دراما غنائية راقصة على خشبات المسارح كاحدى روائع الأدب العالمى عبر العصور ، ويجمع « الهندوس » على أنها « كتاب فلسفتهم الخالدة » ، مبرهنين على ذلك بأن شخصياتها الشريرة ما تزال تتغلغل حتى اليوم فى كل العالم .. ســواء فى الحالات العسكرية

والسياسية والاقتصادية ، بل وفى شتى الطبقات الاجتماعيــة ، وحتى بين أفراد الأسرة الواحدة أينما يوجد الانسان .

وقد كان لهــذه الملحمة تأثير كبير على شــعراء الهنــد عبر العصور ، فقد استلهمها بعضهم ليكتبوها مرات أخرى عديدة .. كل منهم بحســه وشاعريته الخاصــة ، ولمــا كانت الهند بلادا متعددة اللغات ، وكل لغة من لغاتها تغطى مساحة محدودة من أراضيها الشاسعة .. فانك تجد الرامايانا الأصلية والرامايانات المستلهمة منتشرة فى كل اللغات الهندية الخمس عشرة .

وبطل الملحمة هو الشخصية الفذة الخيرة (راما) ، وهو ــ فى عقيدة الهندوس ــ الكائن الأعلى مجسدا فى صــورة انسان قادر على صنع المعجزات ، لكن الشاعر الفيلسوف « فالميكى » تعــامل فى ملحمته مع « راما » على أنه انسان فقط .. عليه أن يتألم ويكافح مثلما يفعل الانسان .

ولقد قضى الشاعر الفيلسوف الناسك « فالميكى » سنوات عديــدة من عمره فى الغابــة يكتب ملحمتــه الرائعة ، وســماها « الرامايانا » نسبة الى بطلها « راما » ، وقد بدأ الشاعر ملحمته بنفس الأبيــات التى تخيل أنها أمليت عليه من الخــالق الأعظم « براهما » والتى تقول :

ستظل الرامايانا باقية ما بقيت الجبال ...

وما بقيت على هذه الأرض مياه تتدفق عبر الأنهار

« المترجم »

الرامايــانا

فى احد العصور القديمة كان هنــاك مملكة تدعى مملــكة ((أيوديا)) ، وكان ملكها ((داساراتا)) ملكا عظيما نبيلا .. يحب شعبه ويعمل على أسعاده ، لذلك أحبه شعبه أكثر مما أحب اى ملك آخر فى تاريخ المملكة ، وكان ((داساراتا)) أيضا محاربا شجاعا فى سبيل الحق .. فأحبه كل ملوك الأرض .. واحترمه الـ (ديفاس) وهم شعب طيب من الآلهة .. لا يتقدم بهم العمر ولا يعرفون الموت .. بل يعيشون فى الســـماء سعداء الى الأبد ، لم يكن هنــاك ما يعكر سعادتهم الا جرائم أشرار الأرض وعلى رأسهم (الراكشاسات) القساة وملكهم الشرير المتعجرف زئــر النساء (رافانــا) .

كان الملك (داساراتا) متزوجا من ثلاث ملكات جميــلات يحبهن حبا صادقا ، وكان لديه كل وســائل السعادة ، لكن قلبه كان حزينا لأنه لم ينجب على الاطلاق ، وعلى الرغم من أنه تقدم

فى السن .. فانه كان ما يزال يحلم ولو بطفل واحد .. يرث عنه الحكم ويحمى شعبه من الأخطار ، ولنفس السبب كانت الملكات دائمات الحزن ، وكان الشعب دائم التساؤل فى جزع « ماذا يمكن أن يصيبنا عندما يموت ملكنا الطيب » ؟ !

وفجأة استجاب الله لدعاء الملك الذى لم ينقطع منذ سنوات عديدة .. فحملت الملكات الثلاث ، وكانت أشهر الحمل افراحا دائمة فى القصر وفى بيوت الشعب .. الى أن أعلن القصر أن الملكات الثلاث وضعن ذكورا على النحو التالى :

● الملكة الكبرى « **كوزاليا** » انجبت « **راما** » .

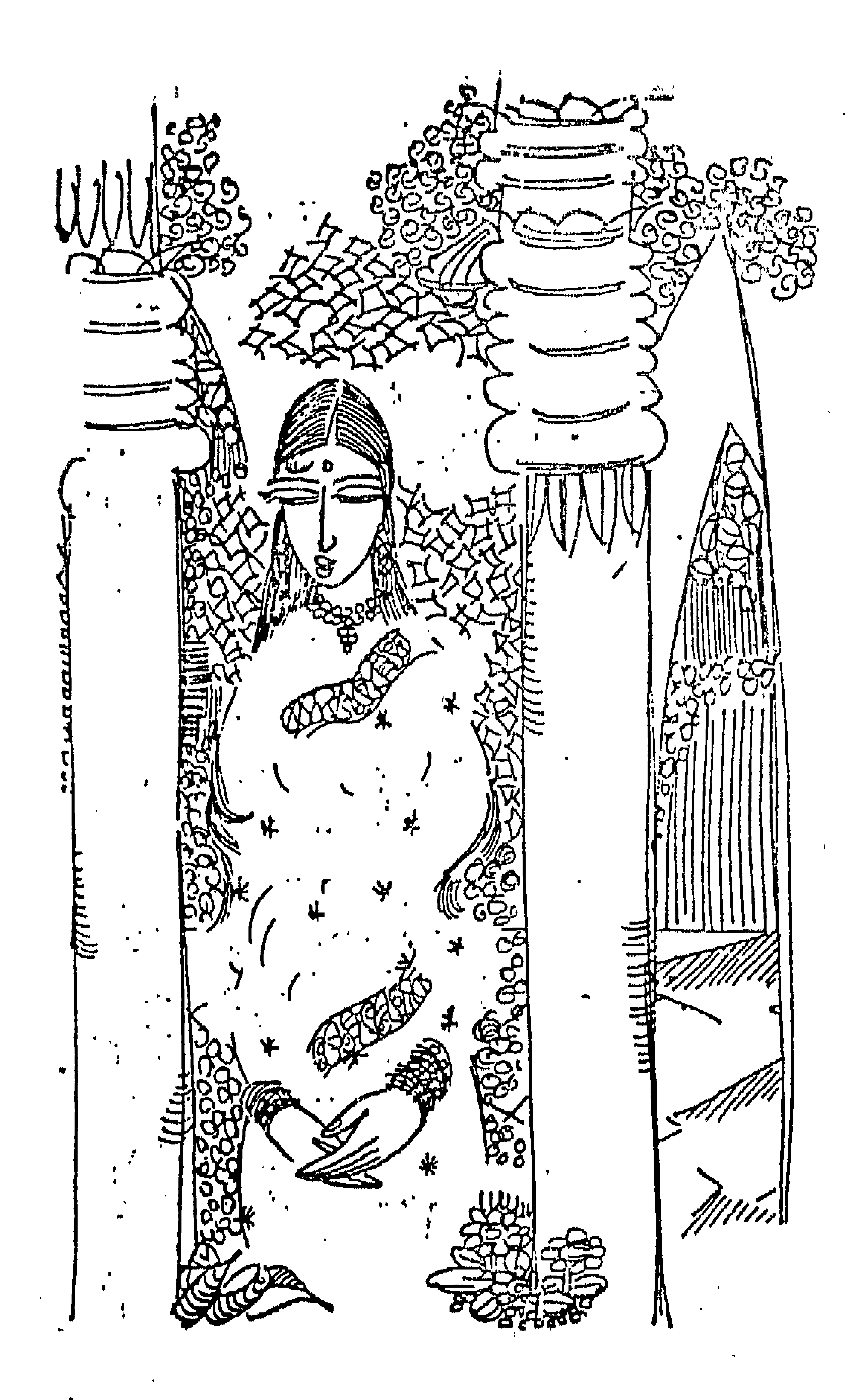
● والملكة الوسطى « **سوميترا** » انجبت « **ساتروجنا** » و « **لاكشمانا** » .

● والملكة الصغرى « **كايكى** » أنجبت « **بهاراتا** » .

● عند ذلك عم المملكة فرح عظيم .. رقص الشعب وغنى ملء الشوارع والميادين ، وسبح ليل المدينة فى أنوار مصابيح بلا عدد ، وسمى ذلك اليوم العظيم « **مولد راما** » .

***

شب الأمراء الأربعة متميزين بالطول والوسامة والقوة والشجاعة .. ناجحين فى تلقى دروسهم .. ومرموقين فى الألعاب الرياضية ، كانت اللعبة المنتشرة بين أبناء المملكة هى اللعب بالكرة المصنوعة من القماش .. لكن الأمراء الأربعة برعوا فى ركوب الخيل والصيد والمصارعة والمبارزة بالسيف ورمى السهام على يدى معلمهم الخاص « **فاسيشتا** » .. الذى كان يعلمهم أيضا تعاليم الدين فى كتب « **الفيدات** » المقدسة . بالاضافة الى تدريبهم على فنون الحكم والحرب .



وكبر الاخوة الأربعة متحابين ، لكن ((**لاكشمانا**)) كرس نفسه تماما لخدمة أخيـه ((**رامـا**)) ومرافقته أينما يذهب ، بينما كان الأخوان ((**بهاراتا**)) و ((**ساتروجنا**)) يقضيان معظم أوقاتهما معا .

وسعد الملك العجوزببلوغ أبنائه الأربعة مرحلة الرجولة . وبأنهم يبادلونه الحب .. ويفتخرون بأنهم ابناؤه ، وعلى الرغم من حب الملك لهم جميعـا الا أن أعزهم وأحبهم الى قلبـه كان ((**رامـا**)) .. الذى يسارع الى تنفيذ أوامر أبيه .. بل ويدرك ما يريده قبل أن ينطق به .

***

عندما بلغ الأمراء الأربعة سن السادسة عشر .. جـاء لزيارة أيوديا ريشي (ناسـك) شهير يدعى ((**فيسواميترا**)) ، وفرح الملك باستضافة ذلك الـ ((**ريشي**)) العظيم .. ووعده بتقديم أية مساعدة يريدها ، وشكا الناسـك للملك من ((**الراكشاسات**)) الذين يزعجونه فى الغابة بضوضاء لا تنقطع فتحرمه من العبادات والتـأمل .

و ((**الراكشاسات**)) هم طائفـة من البشر فى منتهى القـوة والقبح والاجرام ، وكان أقواهم هو ملكهم ((**رافانا**)) حاكم جزيرة ((**لانـكا**)) .. المكروه من كل القبائل والشعوب المجـاورة .. لكثرة ما اجتاح ديارهم ونشر فيها الخراب ، والغريب أن ((**رافانا**)) كان قد حصـل على قوته الخارقـة بالصلاة سنوات عديدة الى الآلهة .. حتى أعطوه القوة التى يريدها ، وعند ذلك بدأ يمارس الزهو والتبجج ، واشتهر بالقسـوة والغلظة مع الملوك الآخرين .. وبالاجرام مع كل الناس .. يزعج الرجـال وهم يقومون بأعمالهم ، ويرعب الأطفال وهم يلعبون ، ويدخل الرعب فى قلب كل ناسـك

يتعبد فى الغابة ، حتى تخيل من لم يروه أنه عملاق ذو عشرة رءوس وعشرين ذراعا على الأقل . وأنه يحمل تعاويذ سحرية تجعله على هذه الدرجة من القوة .

وكان الـ ((ريشى)) الشهير ((**فيسواميترا**)) قد جاء الى الملك ((**داساراتا**)) ليطلب مساعدة ابنه ((**راما**)) فى معاقبة هؤلاء الراكشاسات المجرمين ، لكن الملك فوجىء بالطلب وخاف على ابنه الذى لم يتدرب بما فيه الكفاية بعد لملاقاة هؤلاء المجرمين ، ثم ان ((**راما**)) هو أحب أبنائه الى قلبه ، لذلك صارح الملك ضيفة الناسك قائلا :

ـ لا أستطيع أن أجيبك الى طلبك .

اكفهر وجه الريشى حزنا ، وتدخل ((**فاسيشتا**)) معلم الأمراء قائلا للملك بهدوء :

ـ أيها الملك ، لا تخف على ((**راما**)) ، اننا نعرف أن الريشى ((**فيسوميترا**)) قوى وخبير بأمور الحرب ويستطيع أن يقتل الراكشاسات بنفسه اذا أراد ، لكنه يريد أن يأخذ ((**راما**)) معه ليعلمه أسرار فنون الحرب .

وانتهى الأمر بأن وافق الملك ، وكان طبيعيا أن يرافق ((**لاكشمانا**)) أخاه الحبيب ((**راما**)) .

كانت الرحلة بالنسبة للأميرين مدهشة ، وعلى طول الطريق كان الريشى يحكى لهما حكايات عديدة عن أجدادهما من الملوك العظماء .

هكذا بدأ الأمير الشاب ((**راما**)) أول مغامرة له فى الحياة .

***

ولنعد الى تاريخ حياة الناسك الشهير ((**فيسوامترا**)) قبل أن يصبح ناسكا : كان ((**فيسومينرا**)) قبل ذلك ملكا قويا معروفا بمهارته فى الحرب ، وذات يوم كان يصطاد مع رجال حاشيته فى الغابة ، فأصابهم الجوع والتعب ، وعند مرورهم بصومعة أحد النساك اختار الملك أن يستريحوا بجوارها ، وكانت تلك الصومعة هى مسكن الناسك ((**فاسيشتنا**)) الذى أصبح الآن معلم الأمراء أبناء الملك ((**داساراتا**)) ، وقد فرح الناسك ((**فاسيشتنا**)) باستضافة الملك ((**فيسواميترا**)) ، وعندما تأهب الملك ورجاله للرحيل رجاه ((**فاسيشتنا**)) أن يبقى هو ورجاله حتى يتناولوا طعام العشاء ، لكن الملك ((**فيسوميترا**)) أشفق على الناسك الذى يعيش على جذور النباتات وبما تجود به الغابة أحيانا من ثمار الفاكهة ، كيف يستطيع هذا الناسك ((**فاسيشتنا**)) أن يجهز طعاما لكل رجال الحاشية ؟ ! لذلك رفض الملك ((**فيسواميترا**)) دعوة الناسك ((**فاسيشتنا**)) بأدب شديد ، لكن الناسك أصر على أن يبقى الملك ورجاله لتناول العشاء ، وما أن وافق الملك حتى فوجىء أمامه بمائدة ضخمة رائعة .. تكفى لعشاء آلاف الرجال الذين يتبعونه .

تعجب الملك ((**فيسواميترا**)) ، ولما لم يجد تفسيرا لما حدث سأل ((**فاسيشتنا**)) عن السر ، فأشار الناسك العجوز الى بقرة كانت تقف أمام الصومعة ،وكانت هى البقرة ((**ناندينى**)) التى وهبها الله يوما للكاهن ((**كامادينو**)) مكافأة له على طيبته مع الناس وكثرة تعبده ، وكانت ((**ناندينى**)) قادرة على أن تهب الناسك كل ما يطلبه ولم يكن ((**فاسيشتنا**)) يطلب منها شيئا لنفسه ، فقد هجر العالم بما فيه .. وذهب الى الغابة ليفكر فى الله ويتعبد له ، غير راغب فى شىء الا أن يعطيه الله القدرة على أن يكون عبدا طيبا ، ولذلك فان الله قد وهبه هذه البقرة بعد

رحيل ((**كامادينو**)) لأن الله كان يعلم أن ((**فاسيشتا**)) لن يطلب من ((**نانديتى**)) الا ما يحتاج اليه الناس .

وفكر الملك ((**فيسوميترا**)) فى الأمر ، انه كملك يستطيع أن يستخدم البقرة بشكل أفضل ، ولذلك عرض على الناسك أن يبيعه البقرة بثروة ضخمة من المال ، لكن الناسك العجوز رفض أن تفارقه بقرته العزيزة بأى ثمن ، عند ذلك استشاط ((**فيسواميترا**)) غضبا .. وأمر رجاله بأن يأخذوا البقرة معهم بالقوة ، وعندما حاول رجاله ذلك صرخت المسكينة لعل سيدها أن يخلصها ، فقرر ((**فاسيشتا**)) أن يعطى الملك ((**فيسواميترا**)) درسا لا ينساه ، طلب من البقرة أن تجىء له بجيش يكفى لهزيمة الملك ورجاله ، وأجابت البقرة سيدها الى طلبه ، فاذا بجيش سحرى هائل يملأ المكان ويهزم رجال الملك هزيمة قاسية .. جعلت الملك يهرول هاربا بعاره من الغابة .

وعاد الملك الى قصره مهزوما يفكر فى انتصار الناسك على رجاله ، فاهتدى الى أن السر يكمن فى قوة الصلاة والتعبد ، ولذلك صمم على أن يهب نفسه للصلاة كما فعل ((**فاسيشتا**)) . لكى يهبه الله قوة خارقة .. يستطيع بها أن يهزم الناسك ويمرغه فى العار ، وراح الملك ((**فيسواميترا**)) يصلى ويتعبد حتى وهبه الله القوة التى يريدها .. وجعله أعظم رماه السهام ، وعند ذلك جهز جيشا كبيرا وزحف به الى الغابة حيث حطم هدوءها وسلامها تماما ، وحزن ((**فاسيشتا**)) لما تعانيه حيوانات الغابة من رعب وعويل أمام الجيش الزاحف ، فمد يده الى شجرة بجانبه ، انتزع منها غصنا صغيرا اتخذه عصا ، وبقوة الحب العميق المتبادل بينه وبين الله راح يطارد ((**فيسواميترا**)) ورجاله بالعصا .. حتى طردهم جميعا من الغابة ، عند ذلك أدرك

« **فيسواميترا** » أن العباذة الحقيقية هى أن يصلى الانسان لأنه يحب الله .. لا ليطلب منه شيئا لنفسه ، ومن ثم قرر أن يهب نفسه للصلاة بصدق وحرارة .. الى أن رضى الله عنه بعد سنوات وجعله ناسكا .

***

بعد أن ساروا أياما عديدة اقترب « **فيسواميترا** » والأميران « **راما و لاكشمانا** » من غابة كثيفة الأشجار والظلال ، لاحظوا أن أحجارا ثقيلة تتساقط من حولهم ، نظروا الى أعلى فاذا « **براكتشاسى** » قبيح يتراقص فوق السحاب ويمطرهم بالأحجار ، سأل « **راما** » :

ـ من هذا ؟

اجابة « **فيسواميترا** » :

ـ انها « **تاتاكا** » التى ترهب كل نساك الغابة ، وهى تملك تعاويذ سحرية كثيرة تستخدمها ضدنا ، وعليك ـ كأمير قوى وشجاع ـ أن تعاقب هذه الشريرة دفاعا عن الخير .. وذلك بأن تقتلها .

سحب « **راما** » سهما من جعبة سهامه ، لكنه عاد فتردد قائلا :

ـ ولكن : كيف تطلب منى أن أقتل امرأة ؟ !

اجابه « **فيسواميترا** » :

ـ انى لا أفرق بين رجل وامرأة ، وقد قتلت « **تاتاكا** » الكثيرين منا بلا رحمة ، فهيا يا عزيزى خلصنا من شرورها !

هز ((**راما**)) راسه اقتناعا ، ثم سحب سهمه ووضعه فى القوس ، وصوب بدقة ، ثم أطلق السهم نحو ((**تاتاكا**)) ، **فاذا** بالراكشاسة الضخمة القبيحة تهوى قتيلة على الأرض ، فرح الناسك بمهارة ((**راما**)) الفائقة ، وفرح أكثر بأنه هو **الذى** علمه أسرار الرماية بنفسه على طول الطريق الى الغابة ، **واخذ** **الأميران** ((**وفيسواميترا**)) يتجولون مواصلين السير حتى وصلوا الى مدينة ((**ميثيلا**)) .

كان ((**جاناكا**)) ملك ميثيلا رجلا قديسا ، أحبه **الأميران** واحترماه ، وكان لذلك الملك ابنة تدعى ((**سيتا**)) هى أحب **الأميرات** الى قلب أبيها وقلوب شعبها ، وبقدر ما كانت ((**سيتا**)) طيبة ورقيقة كانت أيضا ساحرة الجمال ، لذلك كان أبوها الملك يعتز بها ويتمنى أن يزوجها بأعظم وأشجع أمير فى **الأرض** ، وكان دائم التفكير .. كيف يجد ذلك الأمير الذى يستحقها ؟ ! وخطرت له فكرة قرر أن ينفذها ، انه يملك سهم شيفا ، فليتزوج ((**سيتا**)) أول أمير يستطيع أن يرفع سهم شيفا ويضعه فى **قوسه** .

كان السهم بالغ الضخامة لدرجة ان عدة رجال لا يستطيعون تحريكه من مكانه ، وكان **الاله** ((**شيفا**)) **قد أهداه** لوالد **الملك** ((**جاناكا**)) ، وكان ((**فيسواميترا**)) قد سمع كثيرا عن ذلك **السهم** لذلك صحب الأميرين الى هناك .. وأخبر الملك ((**جاناكا**)) بكل شىء عنهما ، ثم استطرد :

ـ هذان **الأميران** يريدان أن يلقيا نظرة على سهمك **المدهش** .

أطرق ((**جاناكا**)) ، كم من أمراء جاءوا قبل اليوم وارتعدوا أمام القوس المخيف !! كيف يستطيع هذان الأميران الرقيقيان

الصغيران أن يرفعا سهم « شيفا » ؟ ! لكنه لم يستطع أن يرفض طلب الناسك العظيم « فيسواميترا » ، فطلب من خدمه أن يجيئوا بالسهم .

دهش الأميران عندما شاهدا عدداً كبيراً من الرجال يجرجرون السهم الضخم فى صندوقه الكبير ، سأل « راما » عما اذا كان مسموحا له أن يفتح الصندوق ، ابتسم له الناسك العجوز وهز رأسه بنعم ، التفت الملك « جاناكا » الى الناسك « فيسواميترا » وقال :

ـ يا الهى ! كم عانيت بسبب هذا السهم ! لقد غضب منى كل الملوك لأنى طلبت من أبنائهم هذه المهمة الصعبة ، وخاضوا ضدى حروبا عديدة بعد أن فشل أبناؤهم فى رفع السهم من مكانه ، انى أشك فى أن هناك أحداً يستطيع أن يرفع سهم « شيفا » !!

عند ذلك التفت « راما » الى الملك وقال بتواضع :

ـ هل تسمح لى برفعه ؟

ـ بالتأكيد يمكنك أن تحاول .

لم يكن أحد من المشاهدين ـ ما عدا « فيسواميترا » ـ يتخيل أن « راما » قادر على ذلك ، واذا بضجة هائلة تشق الفضاء فجأة .. كأنها احتوت السموات أيضا ، زارت أمواج المحيطات وفاضت الأنهار وتزلزلت الجبال ، بفعل الصدمة ارتعشت الأرض كلها ، لقد رفع « راما » السهم ، وبينما هو يحاول وضعه فى القوس انكسر السهم الى نصفين ، فاضت دموع الفرح فى عينى « جاناكا » فانهمرت على خديه عندما رأى « راما » يقف متورد الوجه ممسكا بكل من يديه نصف السهم المكسور .



اصيب رجال البلاط بالذهول ، أما الملك فقد فرح فرحا عظيما .. فأخيرا .. ها قد جاء البطل الذى يستحق يد ابنته العزيزة ((**سيتا**)) .

وصل الى الملك ((**داساراتا**)) خبر الانتصار العظيم الذى حققه ابنه ((**راما**)) ، فأسرع الى مملكة ميثيلا مع زوجاته الملكات الثلاث .. وولديه .. وجمع حاشد من رجاله .

رحب الملك ((**جاناكا**)) بالملك ((**داساراتا**)) واقيمت الأفراح، وفى جو من البهجة الغامرة زفت ((**سيتا**)) الى ((**راما**)) ، كما تم زواج ((**لاكشماتا**)) بالأميرة ((**اورميللا**)) شقيقة ((**سيتا**)) ، وزف الأمير ان ((**بهاراتا**)) و ((**ساتروجنا**)) الى ((**مانداف**)) و ((**سروتا كيرتى**)) ابنتى عم ((**سيتا**)) ، وبعد انتهاء الاحتفالات استأذن الملك ((**داساراتا**)) فى العودة الى مملكته .

كم كان ((**داساراتا**)) سعيدا عندما بدأ العودة مع أبنائه الأربعة وزوجاتهم الجميلات ، وبينما الركب فى منتصف الطريق الى مملكة أيوديا .. اذا بالناسك ((**باراسوراتا**)) يظهر امامهم ويستوقفهم ، كان يمسك بيده قوسا ضخما بينما وجهه ملتهب بالغضب ، قال للأمير ((**راما**)) باستخفاف :

ـ لقد سمعت أن استخدام سهم ((**شيفا**)) بالنسبة لك مهمة سهلة ، ولكن انظر الى قوسى هذا ، انه قوس الاله ((**فيشنو**)) ، تعال ، هل تجرؤ على استخدامه ؟

قال هذا ودفع بالقوس الى يدى ((**راما**)) فى حقد وغيظ ، كان ((**باراسوراما**)) ابنا لناسك يدعى ((**جاماداجنى**)) الذى قتله احد الملوك وهو يصلى ، فأقسم ((**باراسوراما**)) على أن يثأر

لأبيه بقتل كل أمراء الأرض .. لكى تنقرض سلالات الملوك ، وكان الملك ((**داساراتا**)) قد سمع بهذا القسم من قبل ، ولذلك ما ان ظهر ((**باراسوراما**)) على طريقهم حتى أصيب بالذعر ، وكان على حق فهو يعلم أن ((**باراسوراما**)) من امهر الرماة ، وأنه ــ مثل ((**فيسواميترا**)) ــ ظل يصلى سنوات لكى يجعله الله سيد الرماية ، فلما وهبه الله هذه المنحة راح يبحث عن الأمراء ويقتلهم ، أصبحت لعبته المفضلة هى عد رءوس الأمراء الذين قتلهم ، هكذا وقف ((**باراسوراما**)) مزهوا أمام ((**راما**)) ، واثقا من أنه سيضيف رأسا جديداً الى حبل الجماجم التى يحملها .

كان قوس ((**فيشنو**)) ضخما مثل قوس ((**شيفا**)) ، صوب ((**باراسوراما**)) نظرة متوحشة الى ((**راما**)) ، لكن ((**راما**)) رد عليها بابتسامة رقيقة ، ثم مد يديه فتناول قوس ((**فيشنو**)) بسهولة ، وثبت فيه سهما وسأل ((**باراسوراما**)) :

ــ الى أين أوجه هذا السهم ؟ الى قلبك ؟ أنت تعلم أنه مادام السهم قد ثبت فى القوس فيجب أن يطلق نحو هدف ما !

أصيب ((**باراسوراما**)) بالذهول مما رأى وسمع ، ظل ساكنا لحظات ، ثم اطرق غارقا فى شعوره بالعار ، وقال بصوت كسير :

ــ عزيزى ((**راما**)) ! ان عقيدتك عظيمة ، وأعظم منها طيبتك انى لست ندا لك ؛ ارجوك أن توجه السهم نحو جبال الهملايا ، وسوف انسحب خلف السهم الى الجبال ، اطاعه ((**راما**)) فأطلق السهم يشق الفضاء فى رشاقة نحو الهيملايا ؛ وانسحب ((**باراسوراما**)) من خلفه نحو الجبال البعيدة ، فلما وصلها راح

يتسلق ثلوجها نحو القمم التي تعلو السحاب ، حيث قرر أن يبدأ فترة أطول للصلاة .

تنهد الملك ((**داساراتا**)) تنهيدة ارتياح بعد أن غاب ((**باراسوراما**)) تماما عن الأنظار ، وعاد الركب يواصل السير في اتجاه مملكة ((**ايوديا**)) .. حيث عاش ((**راما**)) سعيدا مع جميلته ((**سيتا**)) ، وحيث أحبه شعب المملكة اذا كان يشاركهم أفراحهم واحزانهم ومشاكلهم ، لأنه كان عطوفا على الجميع حتى بالنسبة للذين لا يستحقون العطف .. فلم يعد شعب ايوديا يطيق أن يغيب اميرهم الحبيب عن ابصارهم .

ولما رأى الملك ((**داساراتا**)) أن ((**راما**)) قد اكتسب حب الشعب كله .. قرر أن يستريح من عناء الحكم ويتوج ((**راما**)) ملكا على ايوديا ، وفى اعلانه القرار على الشعب قال :

ـ لقد قررت أن ارحل الى الغابة للتأمل والعبادة ، وسوف يكون ((**راما**)) ملوكا عليكم من بعدى .

وسعد الشعب بالخبر ، وساد المملكة ابتهاج عظيم بالملك الجديد المحبوب ((**راما**)) .

***

كانت ((**كايكى**)) هي أصغر الملكات وأحبهن الى قلب الملك ((**داساراتا**)) ، صحيح أنه كان شغوفا بكل زوجاته لكنه كان يحب ((**كايكى**)) حبا خاصا ولا يرفض لها طلبا ، ذلك لأنها كانت ـ مثل ابنها ((**راما**)) ـ سريعة الفهم لرغبات الملك حتى قبل أن يبوح بها ، وكانت الملكة ((**كوزاليا**)) ـ أم ((**راما**)) ـ طيبة تخاف الله ، أما الملكة ((**سوميترا**)) فقد كانت حكيمة رحيمة .

ما أن انتهى الملك من حديثه الى الشعب حتى أسرعت ((مانتارا)) خادمة الملكة ((كايكى)) اليها بالخبر ، وبأن الاستعدادات قد بدأت لتتويج ((راما)) ملكا على عرش ((أيوديا)) ، فى البداية سعدت ((كايكى)) بالخبر ، لكن ((مانتارا)) نظرت اليها متحسرة وقالت :

ـ لماذا أسعدك الخبر هكذا يا ملكتى العزيزة ؟ انى أرى حزنا مؤكدا فى انتظارك ، فبمجرد أن يصبح ((راما)) ملكا سوف يطردك أنت وابنك ((بهاراتا)) من المملكة .

حدقت ((كايكى)) فى وجه خادمتها وصرخت فى غضب :

ـ اخرجى من هنا أيتها المرأة الشريرة !! كيف تجرؤين على نطق هذه الكلمات عن ((راما)) ؟

قالت ((مانتارا)) :

ـ لماذا اذن يتعجل الملك تتويج ((راما)) بينما ((بهاراتا)) مسافر خارج المملكة ؟ الا ترين ان الملك قد ارسل ((بهاراتا)) فى زيارة بعيدة الى بيت عمه لكيلا يقف عثرة فى طريق ((راما)) الى العرش ؟

عند ذلك تجهمت ((كايكى)) وظللت وجهها سحابة شك ، بينما فرحت ((مانتارا)) الشريرة بهذا التغير ، فتنهدت تنهيدة خبيثة وواصلت :

ـ يا ((بهاراتا)) المسكين !! عندما أفكر فى توزيع الحظ على اولاد الملك تسد الدموع حلقى ، يا لحظك يا ابن مليكتى الجميلة ((كايكى)) !!

بدات ((كايكى)) تستمع الى ((مانتارا)) باهتمام ، كم يستطيع الخوف والشك ان يخلقا لنا من مهازل !! بدات ((كايكى))

تشعر بالقلق على نفسها وعلى أبنها ((**بهاراتا**)) ، همست ألى نفسها « عندما يصبح ((**رامـا**)) ملكا .. هل سيظل يحبهـا كما كان ؟ هل سيعامل ((**بهاراتا**)) معاملة طيبة ؟ وهل أضمن سعادتى فى المستقبل » ؟

راحت ((**مانثارا**)) تغذى الشكوك فى راس ((**كايكى**)) حتى جعلتها تنسى طيبـة ((**رامـا**)) ومحبته ، لم يعد فى عقلهـا الآن الا المخاوف ، واستولى عليهـا شـعور مدمر .. بأنها لكى تكون هى وابنها سعيدين فان ((**رامـا**)) يجب الا يكون ملكا ، وهكذا قررت أن تتصرف بحزم قائلة لنفسها « عندما أرى الملك سـوف أطلب منه تحقيق رغبتين أصل بهما الى ما أريد » .

وجاء الملك بقلب سعيد ليزف الأخبار الطيبة الى ((**كايكى**)) ، لكنه فوجىء بها تبكى ، سألها بصوت منزعج :

ــ ماذا حدث يا عزيزتى ؟ هل أنت مريضـة ؟ هل اسـاء اليك احد ؟

مسحت ((**كايكى**)) دموعها وقالت :

ــ لى عندك رغبتان أطالبك بتحقيقهما .

ــ هل هذا كل ما فى الأمر ؟ انى باسم حبيبى ((**رامـا**)) امنحك ما تريدين ، هيا اذن يا مليكتى ، انهضى وابتسمى ، انت تعرفين كم يؤلمنى الا اراك سعيدة .

تشجعت ((**كايكى**)) وقالت دون خوف .

ــ رغبتى الأولى هى أن يتوج ((**بهاراتا**)) ملكا .

غرق الملك فى دوامة من الرعب ثم قال بنبرات عاسة :

ــ ماذا تقصدين يا ((**كايكى**)) ؟

قبل أن ينهى سؤاله اضافت

ـ لا تتعجل يا مليكى ، والرغبـة الثانيـة هى ان يرحل « **راما** » اليوم عن المملكة ليعيش فى الغابة أربعة عشر عاما .

لم يصدق الملك أذنيه فصرخ :

ـ « **كايكى** » !! هـل جننت لتطلبى منى مثل هـذا ؟ الا تعرفين انى أعيش فقط من جل « **راما** » ؟ ثم هل تظنين ان « **بهاراتا** » الذى يحب « **راما** » سيقبل أن يأخذ منه التاج ؟

ضحكت « **كايكى** » ضحكة متوحشة ثم قالت :

ـ ايها الملك .. لقد وعدتني بتحقيق كل رغباتى ، سيصبح ابنى « **بهاراتا** » ملكا ، وسيرحل « **راما** » الى الغابة .

شحب وجه الملك من وقع الصدمة ولفه حزن ثقيل ، بينما ظلت « **كايكى** » صامتـة متحفزة ، زفر الملك زفرة حـارة وقـال :

ـ كيف يطاوعك قلبك أن تفعلى هـذا « **براما** » ؟ بماذا اساء اليك ؟ فليأخذ « **بهاراتا** » المملكة اذ أردت « **يا كايكى** » .. ولكن دعى « **راما** » يبقى هنا فى قصر أبيه .

قال هذا متوسلا ، لكن « **كايكى** » رفضت أن تتنازل عن رأيها ، خطـا الملك الى الخلف حزينا .. الى حيث تحسس مكانا للجلوس ، وجلس شبه مغشى عليه .. وقد ابتل وجهه بالدموع ، وارسلت « **كايكى** » فى طلب « **راما** » .

كان الملوك فى ذلك الزمان لا يرتدون عن وعودهم .. لكى

يكونوا قدوة صالحة لشعوبهم ، وفى أسرة ((**راما**)) بوجه خاص كان الشرف عند كل أفرادها اثمن من الحياة ذاتها .

وجاء ((**راما**)) .

ما ان رآه الملك قادما حتى اختنق بالنشيج ، كل ما استطاع ان ينطق به هو ترديد اسم ((**راما**)) بنبرات حزينة كالعويل ، وهتفت الملكة ((**كايكى**)) برغبتيها فى سمع ((**راما**)) ، فأجابها بوداعة وبلا تردد :

ـ سمعا وطاعة ، كما تريدين أيتها الأم العزيزة .

وظلت ابتسامته صافية هادئة .. وظل صوته مبتهجا كعادته ، دهشت ((**كايكى**)) من هدوئه وطاعته لكن الشك جعلها لا تصدق أذنيها وعينيها ، كانت تخشى أن يعود ((**راما**)) الى التفكير فى الأمر فيغير رأيه ، وعاد الملك الى الهتاف باسم ((**راما**)) هتافا خافتا كالعويل دون ان يقوى على النهوض من مقعده ، نظر ((**راما**)) الى ابيه نظرة حب وقال :

ـ يا أبى العزيز ! يجب على أن أساعدك فى تحقيق المطلبين اللذين تطلبهما أمى ((**كايكى**)) ، فانى أعرف أنك وعدتها وعدا قديما بتحقيق كل رغباتها ، ولايمكن لملك عظيم مثلك أن يتراجع فلا يفى بوعده .

قال هذا وانصرف رافعا رأسه عاليا دون أن تفارق الابتسامة الطيبة شفتيه ، مما جعل كثيرا من شعراء الهند عبر العصور يتفنون بعظمة ((**راما**)) الذى تنازل عن العرش ذات يوم وهو يبتسم .

انتشر خبر استعداد ((**راما**)) للرحيل الى الغابة فى كل ارجاء المملكة بسرعة انتشار النار مع العاصفة ، اظلمت وجوه

نساء المملكة وأطفالها عبوسا وألما .. وحتى الرجال والشيوخ استبد بهم البكاء لفراق أميرهم المحبوب ، حتى أشجار المملكة انحنت حزنا ، وذبلت الأزهار ، وتوقفت طيور السماء عن الغناء والتحليق المرح عبر الفضاء .

وفى القصر الملكى حاولت الملكة الحكيمة ((**سوميترا**)) أن تواسى الملكة ((**كوزاليا**)) ، لكن ((**كوزاليا**)) المسكينة كان الحزن قد اقترب بها من حافة الجنون ، كيف ستتحمل فراق ابنها أربعة عشر عاما ؟ فلما رآها ((**لاكشمانا**)) على هذه الحال فقد السيطرة على غضبه ، ونسى تماما أن الملك أبوه فصاح مزمجرا :

ـ هل فقد الملك عقله ليطرد أخى وصديقى ((**راما**)) ؟ لابد من معاقبة هذه الشريرة ((**كايكى**)) ، انى ما دمت قادرا على تجهيز قوسى بالسهام فلن يستطيع أحد أن يطرد أخى !!

قال هذا وحل قوسه الكبير .. واتجه ثائرا نحو جناح أبيه ، لكن ((**راما**)) قابله فى الطريق فأوقفه بابتسامة آسرة وقال :

ـ انك لن تنسى نفسك يا أخى العزيز ، هل تود أن تجرد أبانا الملك من الشرف ؟ لقد وعد أمنا ((**كايكى**)) وعلينا أن نساعده على تحقيق وعده ، هيا أرجوك ، تخلص من هذا القوس .

انفجرت الدموع فى عينى ((**لاكشمانا**)) وقال لأخيه :

ـ اذا كان لابد أن ترحل فخذنى معك ، انى لا أستطيع العيش بدونك .

كان ((**لاكشمانا**)) عزيزا على ((**راما**)) أكثر من نفسه فلم يستطع أن يرفض طلبه .

وبعد زحام من كلمات الحب والمواساة .. ترك « رامـا » أمه وهى تبكى ، وذهب ليودع زوجته « سـيتا » ، ولكن !! كيف يمكن أن يفجعها بهذا الخبر ؟ وكيف ستتحمله ؟ ثم كيف ستحتمل أن تعيش وحيدة بدونه بعد ان يرحل عنها ؟

دلف الى غرفتها بقلب منكسر ، ما ان وقع بصرها عليـه حتى أحست بالجزع وأسرعت خطاها نحوه تسأله :

ـ ماذا حدث يا سيدى ؟ مالك تبدو مهموما هكذا ؟

ـ عزيزتى « سـيتا » ، ارجـوك أن تهتمى بنفسـك ولا تنزعجى لغيابى ، ان أخى « بهاراتا » الذى يحبنى ويعرف أنى أحبك الى حد العبادة .. سـوف يهتم بك بقدر ما يهتم بحياته ، عليك أن تتخذيه أخـا .. وأن تسعدى بتتويجه ملكا .

مثل ورقة من أوراق الشجر فى خضم العاصفة .. اهتزت الأميرة الرقيقة ، ثم حجبت الدموع الرؤية عن عينيها .. الى أن انفجرت تنشج وتولول :

ـ يا الهى !! هل يريد حبيبى « رامـا » أن يترك حبيبته « سـيتا » ؟ لمـاذا ؟ لمـاذا ؟ ألم تعد تهمه زوجته التى تحبـه الى درجة الجنون ؟ !

أجابها « رامـا » بنبرات مفعمة بالصدق والتأثر :

ـ يا عزيزتى ، لأنى احبك وأقدس حبى لك .. فأنا اريد أن أحميك من مخاطر المنفى ، هل لديك اية فكرة عن الحيـاة فى الغابة !! عن مسالكها الوعرة ووحوشها ولياليها الحالكة السوداء ؟ كيف يمكن لأميرة مثلك لم تنم الا فى فراش وثير ناعم أن تنـام

على الأرض الخشنة ؟ كيف تمشين حافية على قدميك الرقيقتين في الطرق الحجرية ؟ يجب أن تبقى هنا يا ((**سيتا**)) ، وأعدك بأن أسرع بالعودة اليك بعد إنقضاء الأعوام الأربعة عشر .

ضحكت ((**سيتا**)) ضحكة أمر من البكاء وقالت :

ـ وحوش ؟ ليال حالكة السواد ؟ طرقات وعرة ؟ عزيزى ((**راما**)) !! هل تظن أنى سأخاف شيئا وأنت معى ؟ لماذا أخاف الوحوش وأنت بجانبى ؟ الحياة القاسية هى الا أكون معك ، أرجوك الا ترفض رجائى ، خذنى معك !

وفجأة لمحت على شفتيه شبح ابتسامة فاستطردت فى ثقة عميقة بحبه لها :

ـ من يستطيع ن يرفض توسلات ((**سيتا**)) ؟

اتسعت ابتسامة ((**راما**)) .. ومد ذراعيه فاحتوى ((**سيتا**)) فى حضنه قائلا :

ـ انا أيضا يا حبيبتى لا أتحمل البعد عنك ، لقد قلت ما قلت لأنى خشيت الا تتحملى حياة الغابة ، هيا ، هيا اذهبى وأعدى بنفسك لرحلتنا الطويلة .

أشرق وجه ((**سيتا**)) بالسعادة ، وبدأت على الفور تعد للرحلة ، واهبة كل ما تملك للفقراء .. الا من رداء بسيط لفت به جسدها ، وفى نفس الوقت كان ((**لاكشمانا**)) قد ذهب الى أمه ((**سوميترا**)) ليودعها ، فقالت له الملكة الحكيمة :

ـ يا ولدى العزيز ، انك سعيد الحظ اذ تستطيع أن تساعد ((**راما**)) وتظل الى جواره ، اعتبر ((**سيتا**)) مثل أمك ،

وأحبب ((**راما**)) كما تحب أباك ، وعند ذلك ستجد الغابة ملأى بالفرح مثل قصر ابيك ، فلتكن سعيدا يا ولدى وليباركك الله .

كانت ((**سوميترا**)) وهى تبارك ابنها فى منتهى التعاسة ، لكنها لم تشأ أن تظهر تعاستها لكى لا تزيد آلامه ، وظلت تتظاهر أمامه بالسعادة الى أن انتهت طقوس الوداع .

***

أخيرا ، انطلقت العربة الملكية بقيادة السائق ((**سومانترا**)) ، وبداخل العربة ((**راما**)) و ((**سيتا**)) و ((**لاكشمانا**)) ، واذا بجموع الشعب تعترض طريق العربة صارخة باسم ((**راما**)) ومطالبة ببقائه مع شعبه الذى يحبه ، فلما سمع الملك المسكين ((**داساراتا**)) صراخ الشعب .. خرج الآخر من القصر صارخا هو الآخر :

ـ ((**راما**)) !! ((**راما**)) !! أرجوك أن تتوقف لحظة واحدة !!

لكن العربة كانت قد انطلقت بسرعة هائلة .. وبدات تختفى عن الأنظار فى سحابة من الغبار الكثيف ، وعندما أدرك اليأس روح ((**داساراتا**)) سقط مغشيا عليه ، فرفعته الملكة ((**كوزاليا**)) والملكة ((**كايكى**)) من على الأرض ، ولما فتح عينيه على لمسة من يد ((**كايكى**)) .. صرخ فيها رغم اعيائه الشديد :

ـ ابتعدى عنى ! لا تلمسينى ! لا أريد أن اراك بعد الآن .. لا أريد أن أراك الى الأبد .

وقد تحققت رغبة ((**داساراتا**)) فعلا ، فلم ير ((**كايكى**)) بعد ذلك على الاطلاق .

***

أتجه السائق ((**سومانترا**)) بالعربة الملكية الى الشواطىء البعيدة لنهر جانجا .. تلك الشواطىء التى تكتنفها الغابات الشاسعة .. حيث يعيش ملك الصيادين ((**جوها**)) صديق الملك ((**داساراتا**)) .. والذى عرف ((**راما**)) من قبل كأمير ، تعجب ((**جوها**)) عندما رأى ((**راما**)) آتيا الى الغابة فى زى شحاذ جوال ، وبعد أن استمع الى كل ما حدث فى بلاط صديقه الملك ((**داساراتا**)) .. وجه حديثه الى ((**راما**)) قائلا فى ود ومحبة :

ـ ارجوك أن تمكث هنا معى ، ان مملكتى ونساكها وحياتى أيضا رهن اشارتك ، كل ما ارجوه هو أن تبقى معى .

تأثر ((**راما**)) بمحبة ((**جوها**)) الصادقة تأثيرا عميقا ، لكنه أجاب قائلا :

ـ أنا أعلم كم تحبنى ، لكنى لا استطيع البقاء هنا ، لقد وعدت الأم ((**كايكى**)) بأننى ما دمت بعيدا عن مملكة أيوديا فسوف احيا حياة النساك ، ولسوف أفى بوعدى لها ، فقط ارجوك ان تعطينى قاربا أعبر به النهر عندما يشرق الفجر .

وفى نهاية الحوار .. وأمام اصرار ((**راما**)) .. وعده ((**جوها**)) بأن يعطيه القارب لعبور النهر .

قضى ((**راما**)) وزوجته الأميرة ((**سيتا**)) تلك الليلة تحت احدى أشجار الغابة ، بينما سهر ((**لاكشمانا**)) فى مكان قريب ليحرسهما ، وبعد قليل من بداية الليل انضم ((**جوها**)) الى ((**لاكشمانا**)) ليكون هو الآخر حارسا للأميرين .. ((**راما**)) و ((**سيتا**)) ، ودار الحديث معظم ساعات الليل بين ((**لاكشمانا**)) و ((**جوها**)) عن الأمير ((**راما**)) .. وكيف أنه أعز انسان

لديهما فى هـذا العالم ، وعندما تشعب الحديث الى ((**أيوديا**)) . .
اعترف ((**لاكشمانا**)) لملك الصيادين بأنه بدأ يحس بحنين جارف
الى الوطن والبيت ، واضاف :

ـ ترى ! ماذا تفعل امى ((**سوميترا**)) الآن ؟ لكنى سعيد
لأن اخى ((**ساتروجنا**)) هنـــاك ويمكنـــه أن يسرى عنهـا ،
يا الهى !! كم انت مسكينة أيتها الآم ((**كوزاليا**)) بدون ابنـك
((**رامـا**)) !! وكم انت الآن تعيس يا أبى الملك ؟ !

ظل ((**جوها**)) يواسى ((**لاكشمانا**)) طوال ساعات الليل ،
وعند الفجر ودع الضيوف الثلاثة مضيفهم وهبطوا الى القارب ،
ووقف السائق ((**سومانترا**)) على الشاطىء يودعهم باكيا فقـال
له ((**رامـا**)) :

ـ والآن يا ((**سومانترا**)) عد الى ((**أيوديا**)) ، وحاول أن
تواسى الملك بقدر ما تستطيع ، وقل للملكة ((**كايكى**)) اننى عند
وعدى ، وبلغ أخبارنا وتمنياتنا الطيبة لأمهاتنا الملكات ، وعندما
يعود ((**بهاراتا**)) الى ((**أيوديا**)) قل له : انى أترك وأبى وأمى
فى رعايتـه .

انفجر السائق باكيا وهو يقول :

ـ كيف استطيع ان أعود ؟ وكيف أواجه الملك والشعب ؟
ارجوك ان تأخـذنى معك لأخدمك ، كيف تستطيع أن تسـلك
وحدك الطرقات الوعرة ؟ انظر يا أميرى الى خيلك !! لقد امتلأت
عيونها بالدموع !! انها مشتاقة أن تظل معك ، تحملك الى أعلى
التلال . . وتهبط بك الى ما تريد من الوديان .

أجابه ((**رامـا**)) :

ــ استمع الى يا ((**سومانترا**)) ، انى اعرف كم أنت مخلص ، واعــرف كم يعتز بك المــلك ، لكنــك يجب أن تعود لتبلغــه بأخبارى ، وكذلك يجب أن تعرف الأم ((**كايكى**)) اننى وفيت بوعدى ورحلت ، هيــا اذن ، جهز الخيــل والعربــة وعــد الى ((**ايوديا**)) .

عاد السائق الى البكاء .. وعــاد ((**رامــا**)) يكرر ما قاله له مرة اخرى ، وعندما ابحر القارب فى عرض ((**جانجا**)) كان ((**سومانترا**)) و ((**جوها**)) يتطلعان اليه والدموع ملء عيونهما .

ظل القارب يبتعد شيئا فشيئا الى ان اختفى عن عيونهما تماما ، عند ذلك عــاد ((**جوها**)) الى مملكته فى الغابة ، وصعد ((**سومانترا**)) الى مقعد القيــادة ليبدأ رحلة العودة ، سرح بخياله بعيدا ، تنهد ، ثم وجد نفسه يسائل الفضاء مستنكرا :

ــ ((**أيوديا**)) بدون ((**رامــا**)) ؟ كيف يمــكن أن يحدث هــــذا ؟

هبط ببصره من اعلى العربة الى الخيل ، كانت الخيل هى الأخرى تذرف الدموع وتحدق فى الفضاء .

عندما وصل القارب الى الشاطىء الآخر .. عاون ((**رامــا**)) زوجتــه ((**ســيتا**)) على الهبوط الى الشــــاطىء ، وتبعهمــا ((**لاكشمانا**)) ، الى حيث اتخذ الثلاثة طريقهم متجاورين عبر أحد الأدغال الكثيفة .

لم تكن ((**ســيتا**)) خائفة ، رغم ان ذلك النوع من الحياة كان جديدا عليها تماما .. الا انهــا ــ بشكل ما ــ أحست أنها تستمع بمناظر لم ترها من قبل ، أخذ ((**رامــا**)) يعلمها أسمــاء ما يقابلهم من اشــجار وزهور وطيور وهى تستمع اليه بحب

واهتمام ، قطفت أكثر من زهرة ، وتذوقت كثيرا من فواكه الغابة، وضحكت من أعماق قلبها لرؤية العاب الغزلان ، كان صوت ضحكاتها حرا طليقا وسعيدا مثل اغاريد الطيور من حولها على اغصان الشجر ، هكذا ظل الرفاق الثلاثة يقطعون طريقهم فى الدغل الكثيف ، لكن الأميرين ـ « **راما** » و « **لاكشمانا** » ـ كانا يسددان نظرات حادة متوالية فى كل اتجاه .. اتقاء لأى خطر من اخطار الغابة .

لقد حقق « **راما** » « **لكايكي** » رغبتها فى عبور نهر جانجا ومواجهة الغابة دون أن يفكر فى شيء الا الوعد الذى قطعه على نفسه أمامها ، والآن وقد وفى بعهده لها .. عادت أفكاره تتجه نحو المسكينين امه وابيه ، كيف تحملت امه « **كوزاليا** » فراقه ؟ ! وأبوه ؟ لابد انه الآن مريض وطريح الفراش ، هل يمكن ان تسلك « **كايكي** » معهما سلوكا طيبا ، ولأول مرة .. احس « **راما** » بأثقال من التعاسة وعواصف من الحيرة والقلق ، فالتفت الى اخيه قائلا :

ـ « **لاكشمانا** » ؟ لماذا لا تعود أنت الى أيوديا لترعى أمهاتنا وأبانا ؟ انى واثق من نبل اخينا « **بهاراتا** » ولكن .. هل تظنه قادرا على الوقوف بحزم تجاه « **كايكي** » ؟

اجاب « **لاكشمانا** » وغصة الم تعوق فى حلقه الكلمات :

ـ هدىء من روعك يا عزيزى « **راما** » ، انا واثق من ان أمهاتنا بخير الآن من يرعاهن جيدا ، واعتقد انك تثق حقيقة فى « **بهاراتا** » مثلما أثق انا فيه .

وعلى طول الطريق فى الغابة ظل « **لاكشمانا** » يحاول أن يسرى عن اخيه بالأحاديث السارة والمرحة ، الى ان وصلوا بعد

عدة أيام الى التل الجميل «(تشيترا كوتا)» ، تصور «(راما)» أن «(سيتا)» ستحب الحياة على ذلك التل ، فطلب من «(لاكشمانا)» أن يبنى لها كوخا صغيرا على احدى المنحدرات السهلة الخضراء . على مقربة من أكواخ النساك الكثيرين الذين يعيشون هناك .

***

عاد السائق «(سومانترا)» الى «(أيوديا)» بعد سفر دام ثلاثة أيام ، وذهب مباشرة الى قصر الملك حيث طلب الاذن بلقائه فسمح له ، كان الملك راقدا فى فراش مرضه ، لكنه تحامل على ضعفه ونهض من الفراش فى لهفة الى سؤال «(سومانترا)» :

ــ هل عاد «(راما)» ؟

كان «(داساراتا)» طريح الفراش منذ رحل «(راما)» ، وكان يأمل أن يتخلص الأمير من وعده ويعود ، أحنى السائق رأسه وظل سامتا ، فهم «(داساراتا)» وهمهم باكيا :

ــ يا الهى !! «(راما)» ! «(سيتا)» ! «(لاكشمانا)» ! يا ابنائي المساكين !

فى تلك الليلة ذاتها لم يتحمل قلب «(داساراتا)» اثقال الحزن فأسلم الروح .

اصبحت «(أيوديا)» بلا ملك ، ورأى الحكيم «(فاسيشتا)» أن ذلك خطر على المملكة .. فأرسل الرسل على الفور ليعودوا بالأمير «(بهاراتا)» من سفره البعيد ، والغريب أن «(كايكى)» لم تكن قد ارسلت بأية رسالة الى ابنها «(بهاراتا)» منذ غيابه عن المملكة ، كانت «(كايكى)» بعد رحيل «(راما)» قد تغيرت تماما ، وبموت الملك «(داساراتا)» ازدادت هما ، تلاشى احساسها بالفرح الذى احست به عندما كسبت العرش لابنها «(بهاراتا)» ، ربما كان

اكتئابها احساسا منها بما ارتكبته من خطـأ شرير ، وربما كان خوفا من مواجهة ابنها عندما يعود ، فقد كانت تعلم جيدا أن ((**بهاراتا**)) أمير نبيل ومحب وعادل ، وأن فعلته سيدفع ابنهـا بالتأكيد الى أن يكرهها .. ثم يتخذ ضـدها اجراء صارما انتقاما لأخيه العزيز ((**رامـا**)) وابيه المسكين ((**داساراتا**)) .

بعد عدة أيام عاد ((**بهاراتا**)) الى ((**أيوديا**)) فى جمع كبير ، ادهشه الصمت المخيم على شـوارع المدينة التى لم تكن تكف عن الضجيج والمرح ، لـماذا تبدو المملكة هكذا وكأنها تنوح فى صمت ؟! اندفع مسرعا الى قصر ابيه ، ما هـذا ؟! على طول الطريق سكون غريب !! لا فرح على وجوه الشعب بعودته .. ولا تحيات ولا هتاف ولا حركة !! ووصـل الى القصر ، دروب القصر وردهاته خالية واجمـة !! استبدت به الحيرة والخوف ، أين أبوه ؟ وأين ((**رامـا**)) ؟ وأين أمه العزيزة ((**كايكى**)) ؟ انحرف الى جناح أمه ، وجدها هنـاك وحيدة على غير عادتها ، حزينـة شاحبة زائغة البصر ، أية كارثة حلت بالقصر ؟ صرخ فيها :

ـ اين أبى ؟

بصوت متكسر يرتجف بالخوف والخجل .. أنبأته بموت ابيه ، انفجر نواحا وصراخا :

ـ مات ؟ أبى مات ؟ كيف ؟ لـماذا ؟ متى ؟ ولـماذا لم ترسلى من ينبئنى بالخبر ؟ ((**ورامسا**)) ؟ أين ((**راما**)) ؟ إنه محظوظ لأنه كان بجوار أبى واستمع الى آخر كلماته !! هل ترك أبى لى رسالة ؟ لابد أن يكون قد ترك لى رسالة أو وصية ؟

أجابت ((**كايكى**)) وهى ترتعد :

ـ كانت آخر كلماته عن ((**رامـا**)) .



ـ لماذا يا أمى ؟ الم يكن ((**رامـا**)) بجواره ؟

حشدت ((**كايكى**)) دموعها وضعفها ونبراتها المستعطفة لكى تستطيع أن تحكى له كل ما حدث ؛ لكن ((**بهاراتا**)) لم يستطع أن يصدق ما سمع ، لكن الحقيقة فى النهاية بدت أمامه ساطعة ، عند ذلك نظر الى أمه نظرة محملة بالغضب والخجل وقال :

ـ ((**رامـا**)) طرد الى الغابة ، وأبى اذن مات حزنا عليه !!

احست ((**كايكى**)) بمزيد من فداحة خطئها فأخذت ترجو ابنها أن يهدأ ، لكن شيئا لم يستطع ان يوقف غضبه ، بل راح ينتفض ويهذى بكلمات غريبة ، الى أن استجمع كيانه واقسم باكيا ليعيدن ((**رامـا**)) من منفاه فى الغابة .

منذ تلك اللحظة لم يعرف ((**بهاراتا**)) طعما للراحة او السلام ، نهارا وليلا كان يفكر فى ((**رامـا**)) وكيف يعيده الى ايوديا ، وكثيرا ما سأل الحكيم ((**فاسيشتا**)) وغيره النصيحة ، لكنه فى النهاية لم يقتنع بشىء الا ان يذهب بنفسه للبحث عن ((**رامـا**)) ، وبالفعل غادر أيوديا على رأس جيش كبير نحو قلب الغابة ، وصممت الملكات الثلاث على أن يرافقنه فى رحلة البحث ، وخاصة امه التى بدأ يراودها الأمل فى أن تكسب حبه مرة أخرى .

بعد عدة أيام .. وصل « **بهاراتا** » ومن معه الى مشارف تل ((**تشيتراكوتا**)) ، وكان ((**لاكشمانا**)) قد رأى على البعد سحابة غبار قادمة مع الركب فتسلق شجرة عالية ، واذ به يرى جيش ابيه قادما .. وحاملا فى المقدمة علم ((**بهاراتا**)) ، صاح ((**لاكشمانا**)) من فوق الشجرة صيحة متوترة بالغضب ثم هتف :

ـ يا عزيزي ((**رامــا**)) ! جهز قوسك وسهامك ؛ لقد جاء ((**بهاراتا**)) ليحاربنا !

تطلع اليه ((**رامــا**)) من تحت الشجرة وقال له بنبرات هادئـــة :

ـ هل تظن ذلك ؟ هل تعتقد أن ((**بهاراتا**)) سيحاربنا ؟ أنا أؤمن عكس ايمانك تماما ، لقد جاء اخى ((**بهاراتا**)) ليلبسنى تاج أيوديا .

قال ((**لاكشمانا**)) أكثر غضبا وتجهما :

ـ هكذا أنت دائما .. بالغ الطيبـــة وحســن النيـــة حتى بأعدائك .

ـ يا عزيزى ((**لاكشمانا**)) ، لا تتعجل الحكم على اخيك ، انتظر فى هدوء مثلى وسترى ، أعد سهمك الآن الى جعبته .

واقترب الجيش ، تسلق ((**بهاراتا**)) الجبل فى شوق غامر ؛ ومن قمة التل أخذ يتطلع ملهوفا الى كل اتجــاه ، حتى استطاع أن يرى وجه ((**رامــا**)) .. رآه باهرا مثل شمس مشرقة عند باب الصومعة ، وعند ذلك هبط التل مهرولا صارخا :

ـ ((**رامــا**)) يا عزيزى ((**رامــا**)) !!

وتقدم ((**رامــا**)) فاتحا ذراعيـــه ، ازدحمت عينا ((**بهاراتها**)) بدموع الفرح ، وارتعدت ركبتاه وهو يعدو نحو اخيه ، وقبل أن يصل الى ذراعى ((**رامــا**)) سقط على الأرض ، انحنى ((**رامــا**)) فأخذ اخــاه الصغير بحنــان بين ذراعيه بينما أطرق ((**لاكشمانا**)) خجلا من أفكاره الخاطئـــة ، بادر ((**رامــا**)) اخــاه ((**بهاراتا**)) بالسؤال متلهفا :

ـ كيف حال ابى ؟ لمـاذا تركته وحيداً ؟

انهار ((**بهاراتا**)) من كثرة البكاء وغمغم :

ـ لقد مات الملك .

ـ مات الملك ؟ !

قال ((**رامـا**)) هاتين الكلمتين فى تساؤل فزع ، ثم احنى الحزن رأســه ، بينما انفجرت الدموع كالسيل فى عينى الرقيقة ((**سـيتا**)) اضاف ((**بهاراتا**)) بشىء من الثبات هذه المرة :

ـ نعم ، لقد مات أبى ، وعليك أن تعود لترعى شـئون المملـكة .

هز ((**رامـا**)) راسه يمينا ويسارا فى تثاقل عنيد وقال :

ـ يا أخى العزيز ، هل نسيت أنى وعدت أبى ؟ كيف أخون كلمتى ؟

ـ انك لست فى حاجة الى أن تخون كلمتك ، دعنى أقيم هنا بدلا منك ، وها أنـا كما ترى قد ارتديت الرداء المناسب للحياة فى الغابة .

ـ كيف أدعك تفعل هـذا ؟ ان التاج ينتمى اليك أنت ، لقد وعد أبى الأم ((**كايكى**)) بذلك ، وها أنت قد أصبحت ملكا على ايوديـا .

ـ لو كان التاج تاجى فانى أهبه لك يا عزيزى ((**رامـا**)) ، دعنى اقدمه هدية لك ، هل تستطيع أن ترفض هديـة اخيك الذى يحبك ؟

تأثر ((**رامـا**)) بفيض الحب الذى غمره به ((**بهاراتا**)) ،

لكنه ظل عند اصراره على الوفـاء بوعده ، فطلب من ((**بهاراتا**))
أن يعود الى أيوديا ليرعى شعبها تنفيذا لرغبة ابيه ، ثم اضـاف
فى اسى :

ــ وانا من جهتى سـوف انفذ وعدى ، ثم أعود اليكم بعد
أربعة عشر عاما ، وعند ذلك يا أخى سوف أقبل منك الهدية .

كان على ((**بهاراتا**)) أخيرا أن يطيـع ((**رامـا**)) ويعود الى
أيوديا ، لكنه يرى نفسه عاجزا عن الجلوس على العرش الذى
لا يستحقـة الا ((**رامـا**)) ، قـال وهو يحـاول السيطرة على
دموعــه :

ــ عزيزى ((**رامـا**)) ان على أن أطيعك ، لكن لى عندك
رجاء واحدا ، دعنى آخذ معى الى أيوديا شيئا ينتمى اليك ..
هل تعدنى بأن تحقق لى هذا الرجاء ؟

ــ أعدك يا ((**بهاراتا**)) .

ــ وبشرط واحد ، هو أن أختار انا هذا الشىء .

ــ لك ما تريد .

واختار ((**بهاراتا**)) نعلى اخيـه ليحملهمـا معه الى أيوديا
باحترام كبير .

فى طريق العودة الى أيوديا كان الحزن يخيم على الركب
الكبير ، ((**بهاراتا**)) دائم الاطراق والصمت والتفـكير العميق ،
وخطوات الجيش والخيل جنائزية واجمـة ، والملكات الثلاث
عازفات عن الطعام الى البكاء والنواح ، حتى ((**كايكى**)) لم تتوقف
عن البكاء .. ولعلها كانت أكثر غما من ((**كوزاليا**)) (أم رامـا)
((**وسومينترا**)) (أم لاكشمانا) بعد أن انكشف شرها للجميع ..

وبعد أن أصبح ((**راما ولاكشمانا وسيتا**)) الجميلة لعبة فى أيدى القدر ووحوش الغابة البعيدة .

وفى أيوديا .. وفى احتفال كبير .. حمل ((**بهاراتا**)) نعلى ((**راما**)) باعزاز وتبجيل ووضعهما فوق عرش المملكة ، ثم بدأ يحكم باسم ((**راما**)) ، ثم ما لبث أن فقد الرغبة فى حياة القصر بينما ((**راما**)) منفى مشرد بين الأدغال والتلال ، فنقل مقر الحكم الى قرية صغيرة متواضعة بالقرب من أيوديا ، وقضى أيامه هناك يعد الأيام الباقية على عودة أخيه من المنفى .. زاهدا فى الملك وفى كل مباهج الحياة ، هكذا كان ((**بهاراتا**)) شخصية انسانية رائعة بهرت الكثيرين من شعب المملكة فأحبوه بقدر ما أحبوا ((**راما**)) .. بل ان كثيرين من أهل أيوديا اعتبروه أعظم من العظيم ((**راما**)) .

***

فى الغابة البعيدة وراء الشاطىء الآخر لنهر جانجا .. كانت كل أفكار ((**راما**)) فى أخيه الحبيب المحب ((**بهاراتا**)) ، وكل ما حول تل تشيتراكوتا كان يذكره ليل نهار بمجىء ((**بهاراتا**)) اليه فى المنفى ، وبكائه فى أحضانه ، وحبه الصادق ، ثم فراقه الحزين ، لذلك صمم على أن يغادر التل .. رغم أنه عاش بين أرجائه حياة سعيدة مع « **سيتا ولاكشمانا** » والطبيعة الساحرة والنساك الطيبين .

وذات يوم هبط الثلاثة التل الى الغابة الواسعة التى تتوسط أرض الهند ، ظلوا يتجولون فى الغابة الجديدة ثلاثة أيام ، أينما ذهبوا فى دروب الغابة كان هناك نساك يرحبون بهم ويقدمون لهم الود والمأوى .

وعلى الرغم من أن ((**سيتا**)) أصبحت بعيدة عن مباهج القصر .. الا أنها أخذت تزداد توردا ونضارة يوما بعد يوم ؛ ذلك لأن حبيبها ((**راما**)) كان دائما بجوارها ، أما ((**لاكشمانا**)) فقد كان يعتبر كل كلمة اليه من ((**سيتا**)) أمرا عليه أن ينفذه بأسرع وادق ما يمكن ، بل انه اصبح يؤمن بأنه يحيا لكي يكون خادما لها وحسب ، هكذا عاش الأمراء الثلاثة سعداء الا من تلك الساعات التى كانت تهاجمهم فيها ذكرياتهم عن السعادة الغامرة التي كانت تزفهم أينما راحوا في قصر الملك فى أيوديا .

وذات يوم لجأ بعض النساك الى ((**راما**)) ، جاءوا اليه من مكان بعيد فى الغابة يدعى ((**دانداكارانيا**)) يعرضون عليه متاعبهم ، قال له احدهم :

ـ نحن نعلم أنك أمير عظيم وبطل شجاع ، وقد جئنا اليك نرجوك أن تنقذنا من ((**الراكشاسات**)) الأشرار اتباع ((رافانا)) ، انهم يعيشون بالقرب منا ولا يكفون عن أذيتنا .

وبعد أن استمع ((**راما**)) الى شكاواهم شعر بحزن شديد ، ثم وعدهم بأن يذهب معهم الى ((**داندكارانيا**)) ويعاقب أولئك ((**الراكشاسات**)) الأشرار .

كانت اجمل بقعة فى منطقة ((**داندكارانيا**)) مكانا يسمى ((**بانشافاتى**)) ،وفى ذلك المكان الجميل بنى ((**لاكشمانا**)) كوخا صغيرا من اجل العزيزة ((**سيتا**)) وفى داخل الكوخ وخارجه راحت الأميرة الرقيقة تتنقل وتتجول بطول النهار .. مثل طائر جميل وديع سعيد آمن لا يعرف الحذر ، وفى نفس المنطقة كان يسكن اصغر ابناء ((**رافانا**)) مع ((**سورباناكا**)) أخت ((**رافانا**)) .

وذات يوم مرت ((**سورباناكا**)) بالكوخ الذى بناه ((**لاكشمانا**)) فوقع بصرها على ((**راما**)) ، ما ان رأته حتى أخذت بوجهه الجميل

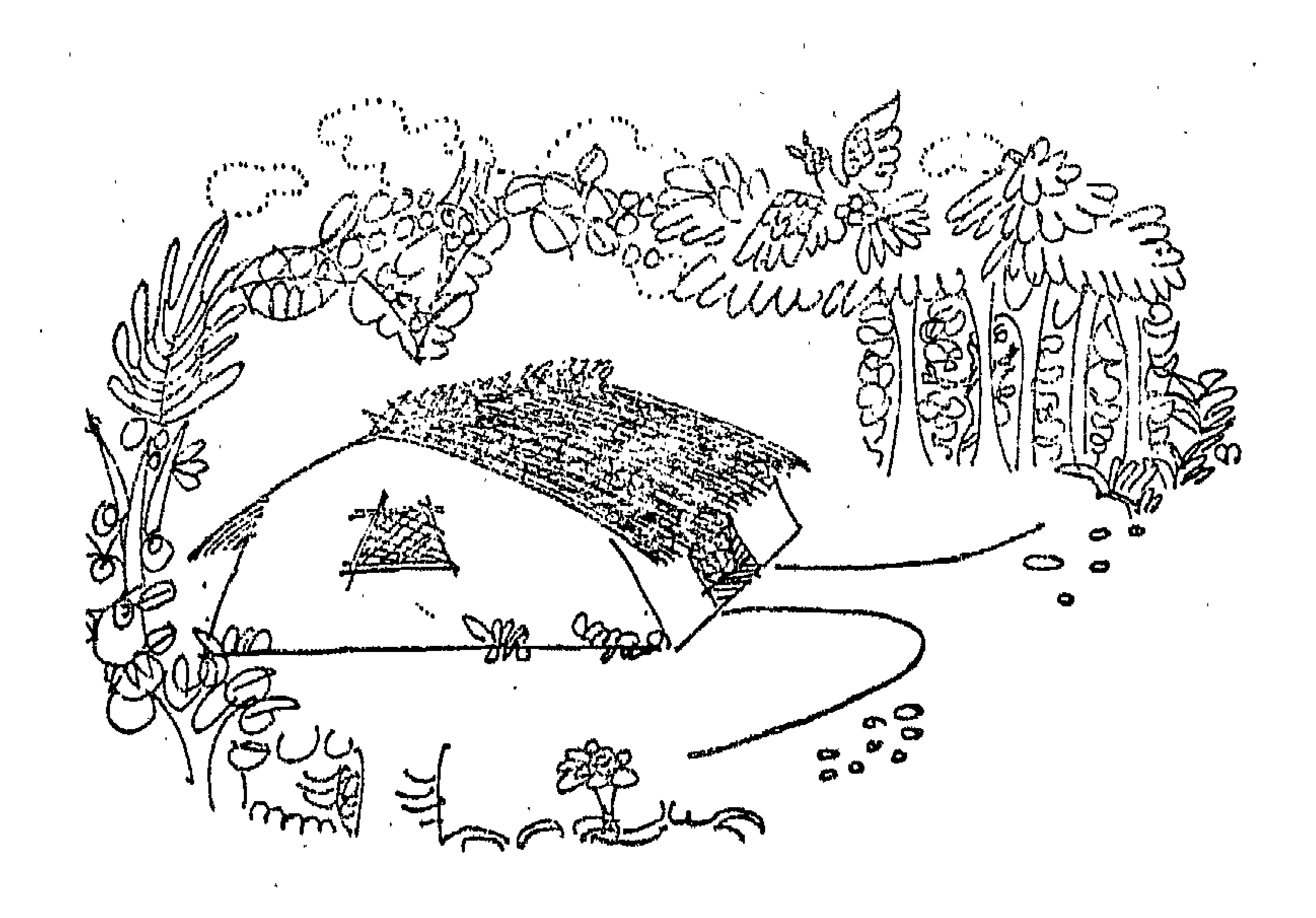
وقسماته النبيلة ، وما لبثت أن وقعت فى حبه ، وراحت الغيرة تنهش قلبها من « **سيتا** » الى درجة الجنون ، فقفزت نحوها لكى تقتلها ، لكن « **لاكشمانا** » كان أسرع منها ، فقفز قفزة أوسع فأمسك « **بسورباناكا** » ثم طوقها بذراعيه القويتين وشل حركتها ؛ ثم عاقبها بقطع انفها وأذنيها ، وظل يطاردها وهى تجرى وتصرخ ألما وذعرا حتى اختفت فى ظلمة الأدغال .

جاءت « **الراكشاسى سورباناكا مهرولة الى أخيها تشكو** له ما أصابها وتطالبه بالانتقام ، وعلى الفور تحرك جيش الراكشاسات مندفعا نحو « بانشافاتى » .. حيث قابلهم « **راما** » بمفرده ، هادئا وشجاعا ، بينما وقف « **لاكشمانا** » يحرس « **سيتا** » ، دهش الراكشاسات عندما رأوا « **راما** » يرفع قوسه ضدهم ، وعلى الرغم من قوتهم وكثرتهم وشراستهم فقد استطاع « **راما** » وحده أن يدمر جيشهم بسيل سهامه الفتاكة ، وهكذا .. فى يوم واحد تخلصت « دانداكارانيا » من كل أشرارها .

لكن « **سورباناكا** » كانت قد هربت وهى فى قمة الفزع الى جزيرة « لانكا » حيث يعيش أخوها « **رافانا** » ملك الراكشاسات ، وراحت تعرض عليه جروحها وهى تصرخ وتبكى وتتمرغ تحت قدميه وتقول :

ـ ساعدنى يا أخى !

استمع « **رافانا** » الى أخته فى دهشة ، من يكون « **راما** » هذا الذى حطم جيشه ؟ لم تكن « **سورباناكا** » قد أخبرته بالسبب الحقيقى لقيام الحرب بينهم وبين « **راما** » ، بل كذبت على أخيها وقالت له بأنها لما رأت جمال « **سيتا** » ورقتها



أرادت أن تخطفها وتجيء بها أليه كأجمل هدية تلقاها في حياته ، اختلقت ((**سوريانا كا**)) هــذه الكذبة بالذات لأنها كانت تعــلم كما يعلم الجميع أن ((**رافانا**)) مغرم بالجميــلات من النساء ، وأنه على استعداد دائم لارتكاب أبشع الجرائم للاستيلاء على امرأة جميلة ، لذلك ظلت تصف له جمال ((**ســيتا**)) وفتنتة قسماتها وجسدها حتى أحســت أنه بدأ يجن اشتياقا لرؤية ((**ســيتا**)) ، فأنهت حديثها بقولها :

ــ أخي العزيز ، لقد شتمت وجرحت كل هذه الجروح من أجلك ، ومن أجلك قتل جنودنا في ((داندا كارانيا)) ، لقد حاربنا كلنا للحصــول على ((**ســيتا**)) الفاتنة ثم اهدائها اليك ، عليك أن تنتقم لنا ولك ، ان ((**رامــا**)) أو غيره ليس ندا لك ، اذهب اليه واقتله ، وعد الينا بأسرع ما يمكن بالجميلة ((**ســيتا**)) .

اشتعل الغضب والغيظ في قلب ((**رافانا**)) فأخذ يدبر خطــة ينتقم بها ، ثم يأخذ لنفسه زوجة ((**رامــا**)) .

بعد أن رسم ((**رافانا**)) خطــة الحرب انطلق نحو باتشافاتى، وفي طريقه الى هنــاك توقف عند بيت ((**ماريشا**)) ابن ((**تاتاكا**)) حيث قال له :

ــ ((**ماريشا**)) ! هناك فرصــة عظيمة لتخدم بها مليكك ((**رافانا**)) ، أنت تعلم أن ((**رامــا**)) يسكن بالقرب من هنا ، وانا أريد أن أخطف زوجته ((**ســيتا**)) وعليك أن تساعدني .

اقشعر جسد ((**ماريشا**)) ذعرا عندما سمع اسم ((**رامــا**)) ، فقد تذكر على الفور أمــه ((**تاتاكا**)) وما حدث لها ، لقد قتلهــا ((**رامــا**)) بالقرب من ميثيلا ، وكان ((**ماريشا**)) هنــاك عندما قتلت أمه ولم يستطع أن ينقذها من ((**رامــا**)) ، تذكر كل هذا ثم قال ((**لرافانا**)) :

ـ أيها الملك والصديق العظيم ، أنت تعرف أنه بامكانـك أن تعتمد على دائمـا ، لكنى أرجوك أن تفكر فى الأمر ، فأنت ربما لا تعرف الكثير عن قوة ((**راما**)) وشجاعته .

قال ((**رافانا**)) باستخفاف :

ـ وهل أنا من يخاف هذا الرجل الصغير الذى تسمونه ((**راما**)) ، انى أريد زوجته ((**سيتا**)) وسـوف أحصل عليها .

قال ((**ماريشا**)) بنبرات مضطربة بالخوف :

ـ ان ((**راما**)) يرعبنى ، ولا أجرؤ على مواجهته .

ـ انى لا أطلب منك أن تواجهه ، فقط أريدك أن تحول نفسك الى غزال من الذهب البراق ، ثم تقطع الطريق ((**مارا**)) بصومعة ((**سيتا**)) ، ثم دع لى بقية الخطة والمعركة .

لكن ((**ماريشا**)) ظل خائفا ، وواثقا من فشل أى خطـة ضد ((**راما**)) ، لكن ((**رافانا**)) حذره اذا نطق بكلمة واحدة أخرى تعنى أنه يرفض أوامره ، والا فسـوف يقتله على الفور ، أحس ((**ماريشا**)) بأنه يقترب من الموت على يد ((**رافانا**)) ، وبعد تفكير عميق هتف قائلا :

ـ اذن فانه أفضـل لى أن يقتلنى ((**راما**)) !!

عند ذلك فـرح ((**رافانا**)) ، وبدأ يجهز لتنفيـذ الخطـة الشريرة .

●●●

ذات يوم .. كان ((**راما**)) وزوجته الحبيبة ((**سيتا**)) جالسين أمام باب كوخهما الصغير .. يستمتعان بالنظر الى زهور

الغابة وأشجارها وطيورها ؛ واذا بغزالة ذهبية تمر أمامهما مسرعة كالبرق ، فهتفت ((**سيتا**)) بفرح :

ـ أوه ! يا للمخلوق الجميل ! أحضر لى هـذه الغزالة لألعب معها يا ((**راما**)) .

ولأن ((**راما**)) يتمنى ان يفعل أى شيء يدخل السرور الى قلب حبيبته فى تلك الغابة الموحشة .. فقد نهض على الفور وهم بمطاردة الغزالة ، لكن ((**لاكشمانا**)) حاول أن يثنيه عن عزمه فنادى عليه صارخا :

ـ لا يا ((**راما**)) ، لا تذهب ، انى اشك فى انها غزالة حقيقية انا واثق من انها راكشاسى متنكر فى شكل غزالة .

قالت ((**سيتا**)) وهى تضحك فى زهو :

ـ ان ((**راما**)) لا يخـاف أى راكشـــاسى حتى لو كان متنـكرا .

قال ((**راما**)) لأخيه متعجلا :

ـ نعم ، ((**سيتا**)) على حق ، انا لا أخافهم ، اذا كانت هذه الغزالة حقيقية فسأحضرها هدية ((**لسيتا**)) ، واذا كانت واحدا من الراكشاسات فسوف اقتله ، عليك فقط ان تعتنى ((**بسيتا**)) حتى اعود ، اياك أن تتركها وحدها أو تبتعد عنهـا مهما تكن الأسباب .

قال هذا وانطلق كالسهم فى اثر الغزالة الذهبية .

لم تكن الغزالة سـوى الراكشاس ((**ماريشا**)) الذى انطلق يجرى نحو أعماق الغابة ، وتعقبه ((**راما**)) فى إصرار الى أن اقترب منه كثيرا ، لكن ((**راما**)) كان قد ارهقه الجرى فى دروب

الغابة الوعرة ، فلم يشير أن يواصل الجرى أكثر من ذلك ، فرفع قوسه المجهز وأطلق سهما واحدا أردى الغزالة قتيلة .

كان السهم قد دخل الى قلب ((ماريشا)) فأدرك انه سيموت فى لحظات ، فكر — قبل أن يموت — أن يفى بوعده ((لرافانا)) فحول صوته الى صوت يشبه صوت ((راما)) تماما كما أمره ((رافانا)) ، وصرخ بكل ما تبقى لديه من قوة فى استغاثة باكية .

— ((سيتا)) !! ((لاكشمانا)) !! ساعدانى ! انقذانى !

وما أن صرخ بهذه الكلمات حتى سقط ميتا .. متحولا الى جسد راكشاسا كما كان ، وعندما راى ((راما)) وسمع هذا أدرك كل أبعاد المؤامرة فعاد يهرول نحو الكوخ منزعجا .

كانت ((سيتا)) عندما سمعت صوت الاستغاثة قد انتابها خوف شديد على حبيبها ((راما)) ، فتوسلت الى ((لاكشمانا)) لكى يسرع لنجدة أخيه ، حاول ((لاكشمانا)) تهدئتها لكنها ظلت تتوسل اليه باكية مؤكدة أن صوت الاستغاثة الذى سمعته هو صوت ((راما)) ، وعاد ((لاكشمانا)) يطمئنها ويحذرها قائلا :

— انه ليس صوت ((راما)) بل صوتا يشبهه ، أنا واثق من أنه صوت ((راكشاسا)) ، نفس الراكشاسا الذى مر بنا متخذا شكل غزال ، أؤكد لك أن ((راما)) قد قتله وسيعود الينا بعد قليل .

لكن ((سيتا)) لم تهدأ بل تزايد انزعاجها ، كيف تعيش فى هذه الغابة اذا ضاع منها حبيبها ؟ ! عادت تتوسل وعاد ((لاكشمانا)) يرفض ، فلما فشلت كل توسلاتها امتلأ قلبها بالغضب وعيناها بالدموع وصوتها بالنواح ، وراحت تلوم

((**لاكشمانا**)) لوما قاسيا وتصفعه بصفعات أكثر قســوة دون أن تدرى ماذا تقول ، وعندما وصلت اهاناتها له الى درجة لم يعد يحتملها قرر أن يحقق لها رغبتها ، اتجه ببصره نحو الطريق التى سلكها ((**رامــا**)) ، تردد قليلا ، ثم فى ألم وحزن شديدين بدأ يمشى تاركا ((**ســيتا**)) وحدها امام الكوخ ، ظل يتلفت الى الوراء كثيرا مترددا فى مواصلة السير ، لكن ((**ســيتا**)) ظلت تلاحقــه بتوسلاتها تارة واهاناتها تارة أخرى .. حتى اختفى عن بصرهــا تمامــا .

كان ((**رافانا**)) مختبئا فى مكان بعيد بين أشجار الغابــة .. واستطاع من مخبئه أن يرى كل ما دار بين ((**ســيتا ولاكشمانا**))، اهتز فرحا بنجــاح خطتــه الشريرة المحكمــة ، والآن ، ها هى ((**ســيتا**)) وحدها فى كوخ على مرمى البصر ، وها هو متنكر فى زى ناسك جوال فقير يعــانى من الشيخوخة والضعف والجوع ، وعلى الفور اتجه نحو الكوخ .

وعلى صــوت ((**رافانا**)) الفريب خرجت ((**ســيتا**)) من الكوخ ، كان الصــوت الفريب يستجدى شــيئا من الطعــام والراحة ، شهق ((**رافانا**)) لرؤيتها ، ها هى ((**ســيتا**)) امامــه عن قرب ، انها أكثر جمالا وفتنة واغراء مما سمع أو تخيل ، دفعه ذهوله ولهفته الى الاعتراف لها بحقيقته ، بأنه ملك وصاحب عرش ، ثم طلب منهــا أن تكون ملكته وشريكته فى عرش ((لانكا)) ، كان زهوه بنفســه وقوته يصــور له أن ((**ســيتا**)) ستوافق على الفور ، ولذلك اغتم غما ثقيلا عندما هزت رأسها بالرفض الحازم ثم قالت :

ــ قد تكون ((**رافانا**)) القوى .. ورافانا المتجبر .. وقد

تكون مملكتك أعظم ممالك الأرض ، لكنى أحب « **راما** » ، وسأظل الى الأبد انتمى فقط الى زوجى وحبيبى .

استشاط « **رافانا** » غيظا من سخريتها وعنادها ، وألهب جمالها لهفته فى امتلاكها ، فهجم عليها كالوحش ، **وطار بها نحو** السحاب ، كانت عربته الطائرة تسمى «بوشباكا » ، وكان شعب مملكته يؤمن بانه يحرك عربته ويطير بها بقوة سحرية ، كانت عربة ذات جناحين مثل جناحى طائر ضخم .. ومن الداخل كانت فاخرة ورحبة ومريحة ، ومثل بقرة فاسيشتا المقدسة كانت « بوشباكا » تطير وتهبط كما يشاء سيدها ، وبينما كانت العربة تطير عند السحاب الى بعيد .. راحت « **سيتا** » **تصرخ** صراخا ملؤة الرعب وهى تحدق فى الغابة من تحتها :

- « **راما** » ! « **لاكشمانا** » ! اين أنتما ؟ هل تسمعان صراخى ؟ هل تريان اين انا ؟ لقد وقعت فى الفخ يا حبيبى ! « **رافانا** » الشرير يحملنى بعيدا ! اوه يا أشجارى العزيزة وازهارى الجميلة وطيورى السعيدة !! « **راما** » يا حبيبى ! قل لى اين يذهب بى « **رافانا** » .

انتشرت صرخات « **سيتا** » حتى ملأت أجواء الغابة ، فتوقفت الطيور عن الغناء ، واطرقت الورود والأزهار حزنا ، والغزالة الرقيقة التى كانت « **سيتا** » تدللها فى أوقات سرورها راحت تذرف الدموع ، وبدت الغابة كلها كأنها تبكى وتنوح على العزيزة « **سيتا** » .

***

طارت « بوشباكا » حاملة « **سيتا** » الى أبعد ثم أبعد ، بينما « **سيتا** » المسكينة تبكى متوسلة الى طيور السماء كي

تساعـدها ، حاول طـائر يدعى « جاتابو » أن يسـاعدها لكن « رافانا » ضربه بالسيف فجرحـه جرحا بالغا ، واسـتمرت « سـيتا » تبكى وتناجى الأشجار والأنهار والتلال ، رأت لفيفا من القردة فوق قمة أحد التلال فألقت اليها ببعض مجوهراتها ، وعلى الرغم من نواحها وصراخها فانها لم تتاق أية مسـاعدة من احد ، واخيرا هبطت بها العربة على جزيرة « لانكا » ، وهنـاك حملها « رافانا » الى حديقة « اشوكا » ، واحتفظ بها هنـاك تحت حراسة نسـاء الراكشاسـا ، كل يوم كان يجىء لها بأثمن الهدايا .. متوسلا اليها أن تكون مليكته ، لكن « سـيتا » فى كل يوم كانت ترفض توسلاته رفضا حازما ، الى أن فقد « رافانا » صبره فقال لها فى صراخ يشبه الزئير :

ـ سوف امهلك اثنى عشر شـهرا لتفكرى ، فاذا ظللت مصرة على الرفض بعد ذلك .. فسوف آمر الطباخين ان يفرموا لحمك فرما .

احنت « سـيتا » رأسها حزنا ولم تجب .

وفى نفس ذلك الوقت كان « رامـا » يهرول عائـدا الى الكوخ ، واذ به يفاجأ « بلاكشمانا » على الطريق ، صرخ فيه وهو مستمر فى الهرولة نحو الكوخ :

ـ لمـاذا تركت « سـيتا » وحـدها ؟ ما الذى جعـلك تفعل ذلك ؟

هرول « لاكشمانا » عائدا الى جوار « رامـا » وراح يحكى له كيف أهانته « سـيتا » وأرغمته على الذهـاب للبحث عنه فى الغابة ، عند ذلك ادرك « رامـا » أن « سـيتا » اصبحت فى خطر فازداد هرولة اليها ، وكما توقع لم يجد « سـيتا » فى

الكوخ أو قريبا منه ، فحزن حزنا بلا حدود ، بكى وصرخ مثل طفل صغير .. مناديا على أصدقاء الغابة لعل أحدهم يعرف مكان ((**سيتا**)) .

وعندما راح يذرع الغابة مع ((**لاكشمانا**)) بحثا عنها تأكد أن حبيبته فى خطر ، فقد كانت الأشجار مطاطئة حزينة ، والجبال تردد أصداء الصرخات الحزينة التى أطلقتها ((**سيتا**)) ، والطيور تبدل شدوها الى نواح ، والغزالة التى كانت صديقة ((**سيتا**)) المدللة .. تجرى هنا وهناك باكية .. مثل طفلة مسكينة تبحث عن أمها الضائعة .

وفجأة ، رأى الأخوان جسد الطائر « جاتايو » الذى طعنه ((**رافانا**)) بالسيف عند السحاب ، اقترب الأخوان من الطائر فاذا به ما يزال حيا ينتفض الما .. ويقول قبل أن يلفظ آخر أنفاسه :

ـ لقد حملها بعيدا ، اتجه بها نحو الجنوب .

دار ((**راما**)) على نساك الغابة يستشيرهم ، فنصحوه بأن يذهب الى تل « ريشياموكا » ويطلب مساعدة شعب القرود ، مؤكدين أن شعب القرود فقط هو الذى يعرف مؤامرات الراكشاسات ومؤكدين أيضا أن ((**سوجريفا**)) زعيم القرود هو أفضل من يمكن أن يقدم المساعدة فى مثل ذلك الموقف .

وعلى الفور بدأ ((**راما ولاكشمانا**)) رحلتهما ، استغرقت الرحلة عدة أيام سيرا على الأقدام حتى وصلا الى تل « ريشياموكا » فاذا به مرتفعات فسيحة مزدانة بأجمل ما رأى الأخوان من شجيرات وأزهار وورود وأطيار

***

هنـــاك فى الجزء الجنوبى من التل تعيش قبائل شعب القرود ، وكان لهم ملك يدعى ((**فالى**)) ، ملك خارق القوة الى حد أنه ذات يوم كان قد هزم ((**رافانا**)) الشرير ، لكن ((**فــالى**)) كان بالغ الزهو بقوته ، بينما أخوه ((**سوجريفا**)) الشـــجاع زعيم جيش المملكة كان رقيقا ورحيمـــا ، لذلك أحبه شـــعب القرود المشهور باسم الـ ((فانارات)) أكثر مما أحبوا ملكهم ((**فـــالى**)) المغرم بالمعارك الطاحنة الدامية .

من تلك المعارك الشهيرة التى خاضها ((**فــالى**)) .. انه ذات مرةطارد أحد الراكشاسات حتى هرب منه ((**الراكشاسا**)) مختفيا داخل كهف مظلم عميق ، لكن ((**فــالى**)) تبعه الى داخل الكهف ، ولمـــا انقضت فترة طويلة دون أن يخرج ((**فــالى**)) من الكهف ظن الشعب أن ملكهم قد قتل ، فراحوا يعدون لينصبوا أخـــاه ((**سوجريفا**)) ملكا عليهم .

فى البداية لم يصدق ((**سوجريفا**)) أن ((**فـــالى**)) قد قتل لأنه يعرف قوة أخيه وشراســـته ، ولكن عندما دعـــاه الشعب ليرى الدمـــاء التى تســـيل خارجـــة من الكهف .. تأكـــد أن ((**الراكشاسا**)) قد قتل ((**فـــالى**)) ، واستجاب لرغبة الشعب فى أن يكون ملكا لهم ، وما أن تم حفل التنصيب حتى ظهر ((**فالى**)) فجأة ، فلما وجد ((**سوجريفا**)) جالسا مكانه على العرش غضب عليه غضبا شديدا وفكر فى قتله ، لكن ((**سوجريفا**)) كان أسبق الى الهرب من المملكة ، حيث ظل مشردا زمنا طويلا .. يتنقل من مكان الى مكان بلا هـــدف ولا أمل ولا سكينـــة ، الى أن قابل ((**رامـــا**)) فوق تل ((ريشياموكا)) .

أخذ ((**سوجريفا**)) يحكى ((**لرامـــا**)) عن مأساته .. وعن خوفه ليل نهار من انتقام أخيه الملك ((**فـــالى**)) ، فحزن ((**رامـــا**))

من أجله حزنا آخر فوق أحزانه ، ووعده بأن يساعده حتى يعيد اليه ما فقده من طمأنينة وسلام .

كان ((**سوجريفا**)) يعلم جيدا انه لو وقع فى يدى ((**فالى**)) فسوف يفقد حياته لا محالة ، لذلك فقد كان عليه اما أن يعيش هاربا متخفيا الى الأبد ، أو يعود الى مخبئه فى ذلك التل ويحارب ، وعندما تأكد من أن ((**راما**)) سيساعده .. تشجع وتحدى ((**فالى**)) أن يدخل معه فى معركة ، وفعلا نشبت بين الأخوين معركة رهيبة ، وبينما هما مشتبكان فى القتال صوب ((**راما**)) أحد سهامه الفتاكة نحو ((**فالى**)) فأرداه قتيلا .

هكذا عاد ((**سوجريفا**)) الى ارضه وشعبه الذى نصبه ملكا مرة أخرى بحضور ((**راما**)) .. الذى فاز من ((**سوجريفا**)) بوعد صادق .. أن يكون صديقه وحليفه الى الأبد .

وما أن انتهت احتفالات التنصيب والأفراح حتى وفى الملك ((**سوجريفا**)) بوعده ، فقد جمع جيشه الكبير ((الفاناراته)) وقسمه الى أربعة أقسام ، ثم ارسل قسما منه شرقا ، والثانى غربا ، والثالث جنوبا والرابع شمالا ، للبحث عن ((**سيتا**)) كان أفراد جيش الفانارات يتميزون بالقوة والشجاعة والمهارة وخفة الحركة معا ، وكان من بينهم محارب هو أقواهم جميعا واشجعهم واخفهم فى الحركة ، كان باستطاعته أن يقتلع الأشجار بيديه فى سهولة ، وأن يحمل أضخم الصخور على كتفه ويقفز بها من تل الى تل ، وكان اسم هذا المحارب الفذ هو ((**هانومان**)) .

نادى ((**راما**)) على ((**هانومان**)) فجاء اليه . خلع ((**راما**)) خاتمه من اصبعه واعطاه ((**لهانومان**)) قائلا :

ـ أنـا أعرف أن فرقتك متجهة جنوبا ، لذلك فانا أتوقع أن تعثر انت على ((سـيتا)) ، فاذا عثرت عليها اعطها هـذا الخـاتم واحـك لها عن الصـداقة التى تربط بينى وبينكم ، واكد لها أني سأتي واقتل ذلك الشيطان ((رافانا)) .

قال هـذا وامتلأت عيناه بالدموع .. شوقا الى حبيبته الرقيقة ((سـيتا)) وخوفا عليها من الراكشاسات المجرمين .

ولقد كان من حسن الحظ أن آ سـيتا ((عندما القت ببعض مجوهراتها من العربة الطـائرة الى القردة فوق قمة التل بينما كان ((رافانا)) يطير بها الى ((لانـكا)) .. كان من حسن الحظ أن هـذه المجوهرات سقطت على ((هانومان)) وأصـدقائه ، وقـد احتفظ بها كما هى فى صرتها ، وعندما عرضوها على ((رامـا)) قبل أن ينطلقوا جنوبا .. انخرط فى البكاء لمرأى الحـلي المفضلة لدى زوجته الحبيبة .

***

تجولت الفرقة المتجهـة جنوبا أياما عديدة .. دون أن يعثروا على أثر ((لسـيتا)) أو ((رافانا)) ، وعند آخر اليابسـة جنوب الهند كان قد أصابهم اليأس والتعب ، فجلسوا ينظرون الى بعضهم بعضـا دون أن يعرفوا ماذا يفعلون ، لم يجسروا على مجرد التفكير فى العودة .. لأن ملكهم ((سوجريفا)) كان قـد حذرهم وهو متجهم قبل أن يبدأوا رحلة البحث قائلا :

ـ أياكم أن تعودوا بدون اخبار مؤكدة عن ((سـيتا)) .

من أجل ذلك قضـوا أياما يتناقشون .. دون أن يصـلوا الى حـل ، ولم يكونوا يعلمون أن هنـاك طـائرا بحريـا يدعى

« **سامباتي** » يسمعهم من فوق صخرة مطلة على البحر ، قال الطائر لنفسه « لابد انهم يتحدثون عن السيدة التى كانت مع « **رافانا** » فى العربة الطائرة ، لقد لمحتها مع « **رافانا** » اثناء طيرانى فى الجو .. على أن أخبرهم بذلك » .

وهبط «**سامباتى** » من فوق الصخرة الى حيث فرقة الفانارات وأخبرهم بأنه رأى « **رافانا** » يحمل سيدة فى عربته متجها بها الى « لانكا » ، سأله الجنود فى هياج وصخب :

ــ اين « لانكا » هذه ؟ كم تبعد عن هنا ؟

انتظر « **سامباتى** » حتى هدأ صخبهم وقال :

ــ انها جزيرة فى عرض البحر تبعد عن هنا نحو خمسين ميلا .

احس الجنود بخيبة الأمل مرة اخرى وتساءلوا :

ــ كيف نعبر خمسين ميلا فى مياه البحر ؟ !

ثم تنهدوا يأسا وقالوا فى صوت واحد :

ــ لا أمل .

وردد بعضهم أن « **سيتا** » أيضا لابد قد فقدت الأمل .

وقال كثيرون منهم :

ــ فلنمت هنا افضل من أن نعود بفشلنا الى الملك .

وفجأة ، وقف اقواهم واشجعهم « **هانومان** » وعيناه تبرقان ، دفع بصدره الى الأمام ، ثم ضم قبضتيه ، وهز ذيله هزات دائرية بعنف الدوامة ، وقال بصوت كالرعد :

ــ سوف اذهب ، سأقفز فوق المياه واعود بأخبار « **سيتا** » !

قال هذا ثم فتح ساقيه محدقا فى مياه البحر ، قفز قفزة الى الأمام ، واذا بالجميع يتبعونه راقصين صائحين منشدين :

ـ لقد انقذنا !! انقذنا العزيز ((**هانومان**)) !!

أطلق ((**هانومان**)) زئيرا عاليا اهتز له التل ، ثم قفز قفزة هائلة فى الفضـــاء ، بينما ظلت عيون الجيش تتابعه حتى اختفى خلف السحاب .

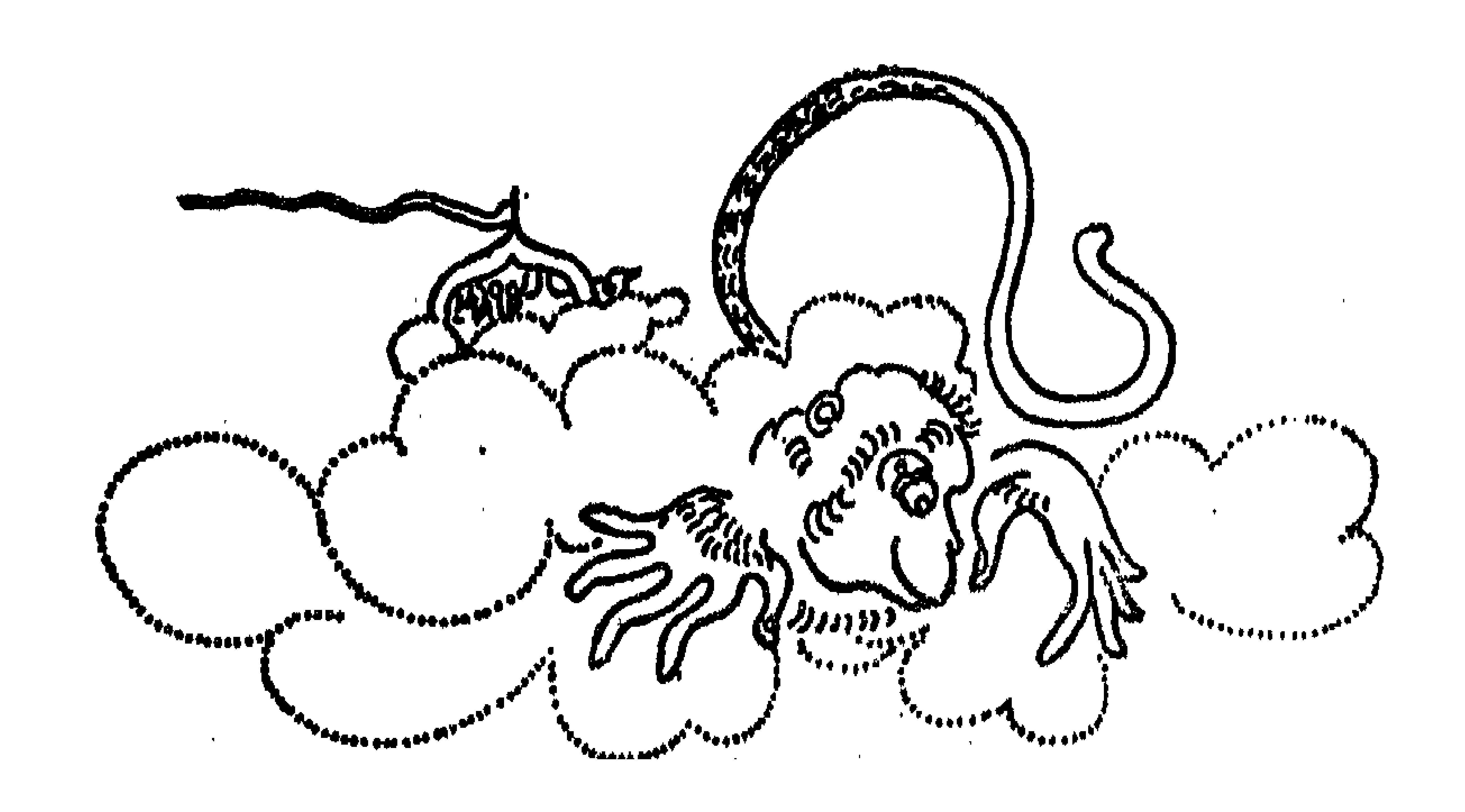
كان الطيران منحة سرية خاصة تعلمها ((**هانومان**)) من ابيه ((**فـايو**)) ملك الرياح .. ولم يعلن عنها أمام أحد من قبل .

***

هبط ((**هانومان**)) بهدوء على جزيرة ((لانــكا)) ، وراح على الفور يبحث هنا وهنـــاك عن الأميرة الضائعة .فلم يعثر لها على اثر ، واثناء تجواله فى الجزيرة رأى ما جعله يؤمن بأن الراكشاسات شعب ذكى ونشيط ، فقد فوجىء أينما راح هنـــاك بماكينات مذهلة وأسلحة معقدة لم يرها من قبل فى أى مكان ، فقال لنفسه ((عنـــدما أعود الى الملك ((**سوجريفا**)) سأحــكى له عن هـــذه الماكينات والأسلحة)) .

وبينما هو يتجول فى حديقة أشوكا الرائعة .. أغراه النسيم المنعش والفواكه الدانية بالجلوس للراحة قائلا لنفسه ((فلأسترح هنا بعض الوقت ، واستمتع بفاكهة ((**رافانا**)) اللذيذة)) .

وفجأة ، رأى شيئا يلمع تحت شجرة بعيدة ، حدق بحدة .. فاذا الشيء اللامع هناك امرأة جالســـة ، ارتجف ((**هانومان**)) عندما توقع أنها ((**ســيتا**)) ، من غير ((**ســيتا**)) يمكن أن يكون بهذا البهاء !! يا لها اذن من أميرة رائعة !! نهض ، اتجه نحوها ،



اقترب منها ، ثم اقترب أكثر ، فاذا بعينيها مزدحمتان بالدموع ، وشفتيها الفاتنتين تتمتمان بلا توقف :

ـ ((رامــا)) !! ((رامــا)) !! ((لاكشمانا)) !!

بالتأكيد هي الأميرة ((ســيتا)) !! لكنها محــاصرة بنساء الراكشاسات الضخمات القبيحات !! ارتجف لحظــة ، كيف يمكن أن يتصرف ؟ !! انتظر ، فكر بهدوء وصبر ، كيف يمكن أن يتكلم مع ((ســيتا)) على انفراد ؟ ! لكن الحظ حالفه ، فبمجرد أن هبط الليل بدأت النسوة القبيحات ينمن واحدة بجوار الأخرى.

اقترب ((هانومان)) من ((ســيتا)) هامسا باسم ((رامــا)) ثم اقترب منها أكثر هامسا باسم ((رامــا)) مرتين ومرتميــا عند قدميها ، تطلعت ((ســيتا)) اليه مندهشــة ، هل هى فى حلم ؟ ! هل سمعت حقيقة اسم حبيبها ؟ ! لم تصــدق عينيها ولا أذنيها وهى ترى القرد ((هانومان)) عند قدميها .. وبصــوت انسانى جميل يهتف مرة أخرى باسم ((رامــا)) ، ظنت أن فى الأمر خدعة جديدة يحيكها لها ((رافانا)) ، فصرخت فى غضب :

ـ ما هذه الخدعة الجديدة ؟ انهض ((يا رافانا)) واغرب عن وجهى !!

توسل اليها ((هانومان)) أن تصــدقه ، وراح يحكى لها عن حزن ((رامــا)) وقسمه بأن يقتل ((رافانا)) ، ظلت تنظر اليه فى خوف ، ومد ((هانومان)) يديه المرتعشتين فناولها خاتم حبيبها ، ما ان رأت الخــاتم حتى أشرقت عيناها بالفرح ، وراحت تقبل الخاتم وتلامس به صــدرها .. دون أن تتوقف عن شــكرها لـ ((هانومان)) .

وبدموع الفرح المنهمرة على خديها حاولت أن تنطق بالكلمات من بين موجات النشيج .

ـ عزيزى ((**هانومان**)) ! انى أميرة لكنى لا أملك شيئا أهديه لك ، هل تخبرنى من انت ؟ وكيف التقيت ((**براما**)) ؟ **اين هو** ومتى يأتى ليأخذنى ؟

أجاب على كل أسئلتها ، وحكى لها عد صداقة ((**راما**)) بالملك ((**سوجريفا**)) ، ثم أضاف :

ـ لا تخافى يا سيدتى العزيزة ، سيأتى ((**راما**)) **سريعا** وسيقتل ((**رافانا**)) ، سأذهب الآن فورا لانقل اخبارك الى ((**راما**)) .. لكى يسرع بالمجىء اليك . بكت ((**سيتا**)) **بمرارة** لأن ((**هانومان**)) سيتركها وحدها مرة أخرى .

ـ كيف اتحمل البقاء وحدى بعد أن وجدت صديقا ؟ !!

كان ((**هانومان**)) ضخما وقويا باستطاعته أن يحمل ((**سيتا**)) فوق ظهره ويقفز بها فوق البحر الى حيث ((**راما**)) ، وقد عرض عليها ذلك لكنها رفضت ، كانت ترى أنه ما دام ((**رافانا**)) قد أهان ((**راما**)) فعلى ((**راما**)) أن يأتى بنفسه لينتقم أولا .. ثم يخلصها بنفسه ، وسحبت من شعرها دبوسا مرصعا بالجواهر أعطته ((**لهانومان**)) قائلة له :

ـ أعط هذا ((**لراما**)) دليلا على حبى ، وقل له ان ((**رافانا**)) هددنى بأكل لحمى ان لم أوافق على أن أكون له زوجة وملكة ، وقل له أيضا ان ((**رافانا**)) أعطانى مهلة اثنى عشر شهرا لم يبق منها سوى شهرين .

لم يكن ((**هانومان**)) يرغب فى البعد عن ((**سيتا**)) ، لكن عليه أن يعود باخبارها سريعا الى ((**راما**)) ، وفجأة ، اشتعل

الغضب فى قلبه فحدث نفسه قائلا « لابد أن أعطى ((رافانا))
المغرور درســـا قبل ان اغادر « لانكا » ، ثم نهض فى ثورة مدمرة
وراح يحطم الحدائق ويقتلع الأشجار من كل أنحاء الجزيرة ، وعلم
((رافانا)) أن هنـــاك مخلوقا غريبا هائجا يخرب الجزيرة ، فأرسل
عددا من اقوى رجـاله ليحـاصروه ويقتلوه ، لكن ((هانومان))
استطاع أن يقتلهم جميعا .

دهش ((رافانا)) لمـا حدث فأرسل ابنـه ((اندراجيت))
ليقبض على ((هـانومان)) ، كان ((اندراجيت)) أكثـر من نـد
((لهانومان)) فاستطاع أن يقبض عليه ويربطه بحبل سميك .. ثم
يجرجره الى بلاط أبيه .

فى تلك الأيام البعيدة .. كان الملوك يحاولون تسوية مشاكلهم
تسوية سلمية اذا استطاعوا ، ونادرا ما كانوا يبدأون حربا الا اذا
لم يجـدوا وسـيلة أخرى ، ولأن ((هانومان)) كان رسـول
((رامـا)) .. فقد بدأ الحديث مع ((رافانا)) برقة ، لعله يطلق
سراح ((سـيتا)) لتعود معه ، لكن ((رافانا)) كان عاشقا للشر ،
فلم يهتم بكلمات ((هانومان)) الرقيقة ، بل قال له :

ـ قل لسيدك اننى لن افترق عن ((سـيتا)) ، والآن ،
هيا عد الى الغابة التى تنتمى اليها ايها القرد الغبى !

وقبل ان يطلق سراح ((هانومان)) .. أمر رجاله ان يشعلوا
النار فى ذيله اولا .. ثم يفكوا وثاقه ليضيع فى الأدغال .

لم يتألم ((هانومان)) من النار الممسكة بنهاية ذيله بقدر
ما تألم من كلمات ((رافانا)) ، ولذلك صمم على الانتقام منه على
الفور ، فانطلق هائجـا يهرول هنا وهنـاك عبر الجزيرة ..
مشعلا النار فى كل مكان .

لاشك فى أن النار ألحقت بذيله كثيرا من الأذى ، لكنه كان يحب ((**راما**)) الى درجة تجعله يتحمل من إجله الألم ، ثم أن الشجعان عليهم أن يقاوموا كل الآلام دون أن ترمش أهدابهم ، وها هو قد قاوم حتى نشر النار فى كل اتجاه .

وجرى الى البحر حيث غمر ذيله فى الأمواج الباردة ، ومن على شاطىء البحر قفز قفزة هائلة أخرى .. نحو الأرض التى جاء منها .

***

استقبله اصدقاؤه بترحيب حار ، بينما كان هو يصيح فرحا بانتصاره حتى قبل أن يهبط الى الأرض مهللا :

ــ لقد وجدتها .. لقد وجدت ((**سيتا**)) .

عند ذلك اطلق أصدقاؤه صيحات فرحة غطت على كل اصوات الأمواج الآتية من البحر .

كان الأصدقاء متلهفين الى معرفة كل شىء عن مغامرة ((**هانومان**)) ، فأخذ يحكى لهم كيف عثر على ((**سيتا**)) ..

وكيف اشعل النار بذيله فى انحاء لانكا ، وعند ذلك نهض الأصدقاء يرقصون ويتقافزون طربا ، وعلى طول الطريق الى قصر ((**سوجريفا**)) ظلوا يرقصون ويمرحون ويتصايحون .

كان ((**سوجريفا**)) داخل القصر فى منتهى القلق على أخبار ((**سيتا**)) ، فلما سمع ذلك الضجيج الصاخب يقترب من القصر تأكد أن هناك اخبارا سارة .

وعندما قفز ((**هانومان**)) الى حيث يجلس ((**راما**)) و ((**لاكشمانا**)) فى غاية الحزن والقلق .. صاح بأعلى صوته :

ـ ((رامـا)) !! لقد عثرت على ((سـيتا)) .

أشرق وجه ((رامـا)) ، وناوله ((هانومان)) دبوس الشعر الذى كانت ((سـيتا)) تربط به ضفائرهـا الجميلة ، أهـاج الدبوس فى نفس ((رامـا)) آلاف الذكريات الحبيبـة ، نظر الى ((هونومان)) بعينين مفعمتين حبا وقال :

ـ عزيزى ((هانومان)) ، لقد أعطيتنى الحياة والأمل وكل ما أتمناه ، كيف أكافئك ؟ !

قال هـذا ثم مال على جسم ((هانومان)) الخشن ذى الشعر الكثيف .. وأخذه بين ذراعيـه واحتضنه فى ود عميق .

عندما سمع ((لاكشمانا)) بما صدر عن ((رافانا)) من شتائم وتبجح .. وبما تعانيه ((سـيتا)) من حزن .. هب صائحـا :

ـ فلنرحل الى هناك فورا !! انى فى شوق الى المعركة !!

وتبعه كل جيش الفانارات صائحين :

ـ الى لانكا !! الى لانكا !!

***

قادة الجيش الزاحف الآن هى ((رامـا)) .. ((ولاكشمانا)) ((وسوجريفا)) ، على طول الطريق جنوبا الى البحر كان ((رامـا)) يفكر فى ((سـيتا)) وفيما هى فيه من خطر .

وكان الجيش كلما تسلق أحد التلال أو هبط من فوقها .. أثار من حوله زوبعة هائلة من الغبار ، الى أن وصـلوا بعد عدة أيام الى مشارف مياه المحيط .

وقف ((**راما**)) يحدق فى المدى اللانهائي للمياه والأمواج المتلاحقة : فكر فى رهبة .. كيف يستطيع الجيش أن يعبر كل هـذا الهول ؟ ! لكن ((**فيبهيشانا**)) تقدم اليه ليساعده ، ((**وفيبهيشانا**)) هو الأخ الأصغر للشرير ((**رافانا**)) ، وهو أيضا قوى وشجاع يملك كل ما يملكه الراكشاسات من قوة ومهارة ، ويؤمن بأن ((**رافانا**)) أخطأ عندما خطف ((**سيتا**)) ، بل انه أفضى برأيه هـذا ((**لرافانا**)) مرات عديدة محذرا اياه من غضب ((**راما**)) وانتقامه .. طالبا اليه أن يكفر عن جريمته باعادة ((**سيتا**)) الى حبيبها ، لكن ((**رافانا**)) لم يستمع للنصيحة ، الى أن كان ذات يوم .. بينما ((**فيبهيشانا**)) ينصحه مرة أخرى ويحدثه باعجاب عن بسالة ((**راما**)) .. نفد صبر ((**رافانا**)) وصرخ فى أخيه بصوت كالرعد :

ــ كيف تكون أخي وتدافع عن عدوى ؟ !

وبعد أن تكرر هـذا الموقف كثيرا انفجر غضب ((**رافانا**)) فطرد أخاه من مملكة لانكا .

ورحل ((**فيبهيشانا**)) حزينا لأنه كان يحب أخاه ويخشى عليه من ((**راما**)) ، وكان حزنـه الأكبر انه لم يستطع أن يغير ((**رافانا**)) ويخلصه من حبه للشر والقتال .

وبينما ((**فيبهيشانا**)) غريب عن أرضـه يتجول مشردا وحيدا .. رأى ((**راما**)) على رأس جيش كبير ، فذهب اليه عارضا عليه صداقته وخدماته ، ربما لم يكن هـذا اخلاصا مطلقا منه ((**لراما**)) ، لكنه على أية حال كان يريد أن يحميه من القتل على يدى أخيـه الشرير ((**رافانا**)) ، وقبل ((**راما**)) صـداقة ((**فيبهيشانا**)) على الفور ، لكن ((**سوجريفا**)) ووزراءه ارتابوا فى هـذه الصـداقة ، كان رأيهم هو انه مهما يكن من أمر فنان

« **فيبهيشانا ورافانا** » اخوان ، لكن « **رامـا** » لم يتعود على أن يرد من جاء يطلب صداقته ، ولذلك راح يحث أتباعه على أن يقبلوا صداقة « **فيبهيشانا** » .

ولقد ثبت الجميع فيما بعد أن «**رامـا**» كان على حق ، فقد اثبت « **فيبهيشانا** » أنه صـديق مخلص وخدماته لا تقدر بثمن ، فبدونه لم يكن جيش الفانارات قادرا على عبور المحيط ، اذ هو الذي علمهم كيف يبنون جسرا فوق المياه .. جسرا يربط الأرض التي تحت أقدامهم بجزيرة لانكا .

***

ما ان عبر جيش الفانارات الى لانكا حتى بدات معركة هائلة بينه وبين جيش « **رافانا** » ، اظهر فيها جيش الفانارات بطولات خارقـة ، كمـا ظهرت شجاعـة « **سوجريفا وهانومان وراما ولاكشمانا** » ، فى تلك المعركة قتل « **كومباكارانا** » و « **اندرجيت** »

و «**كومباكارانا** » هو اصغر اخوة « **رافانا** » وكان ذا جسـد هائل يحتـاج الى كثير من الطعام وكثير من النوم ، وفى الواقع فان كان دائم النوم عندما يجوع فيصحو ليأكل ، لكنه ان أقوى الراكشاسات .. مثيرا للرعب بضخامته وقوته ، ولقد كان نومه الطويل ليلا ونهارا نعمـة بالنسـبة « **لرامـا** » ، فعندما هبط « **رامـا** » الى الجزيرة كان « **كومباكارانا** » غارقا فى نوم عميق .

فى البداية ظن « **رافانا** » ان من السهل مطـاردة هذه القردة الصغيرة حتى تهرب بجلودها من الجزيرة ، بل انه لم ير ضرورة لايقاظ أخيه « **كومباكارانا** » من النوم ، لكن جيش الفانارات ظل يتقدم يوما بعد يوم ويقتل أشجع الراكشاسات واقواهم ، حتى

أحس « **رافانا** » بالخطر .. فأرسل رجاله ليوقظوا العملاق النائم « **كومباكارانا** » ، ولما تعب الرجال فى ايقاظه أمر « **رافانا** » بأن يوجهوا قطيعا من الفيلة والخيل ليدوسوا على جسده حتى يستيقظ .

أخيرا مسح « **كومباكارانا** » عينيه ، ثم نهض واقفا ، وعندما أخبروه بالأمر طرد النوم من عينيه واندفع بقوته الهائلة الى قلب المعركة ، كان يهاجم بهياج ورعونة .. فتهتز أسلحته وتدور وتتصادم بجسده ورأسه ، لكنه استمر يدهس الكثيرين من جيش الفانارات بقدميه .. ويلقى بآخرين منهم أرضا .. ضربا بالعصى التى يحملها لكسر الدروع .. وينشر الموت والخراب من حوله فى كل اتجاه ، لم يستطع « **سوجريفا وهانومان ولاكشمانا** » أن يتغلبوا عليه أو يوقفوه عن الهجوم ، فتقهقروا ، لكن « **راما** » وحده استطاع أن يعود نحوه ويواجهه ، كانت هجمات « **كومباكارانا** » سريعة جدا وعاتية ، لدرجة أن « **راما** » أخطأه مرات عديدة ، لكنه آخيرا .. وبسهم واحد من سهامه الحادة اخترق رأس « **كومباكارانا** » ، عند ذلك صرخ الراكشاسا الضخم صرخة مفزعة وسقط على الأرض .. بعد أن انفصل رأسه عن جسده وراح يتدحرج بسرعة نحو مياه المحيط .

والآن ، انتاب « **رافانا** » خوف حقيقى ، فكثيرون من أقوى رجاله قتلوا ، لكنه فكر فى نفسه قائلا « يا للعار اذا انسحبت من المعركة ! ما يزال لدى ابنى الشجاع « **اندراجيت** » .

لم يكن « **اندراجيت** » قويا فحسب .. بل كان داهية واسع الحيلة أيضا ، وعندما جاء الى أرض المعركة طار فى الجو بعربته غير المرئية .. ونشر مرض الرغبة فى النوم على جيش

الفانارات ، ربما كان ذلك بتعويذة سحرية ، وربما كان لدى ((**انيراجيت**)) مادة سرية امطر بها الجيش من الجو ، أيا كان الأمر فان هـذه أسرار خاصة احتفظ بها ((**اندرجيت**)) لنفسه فقط .

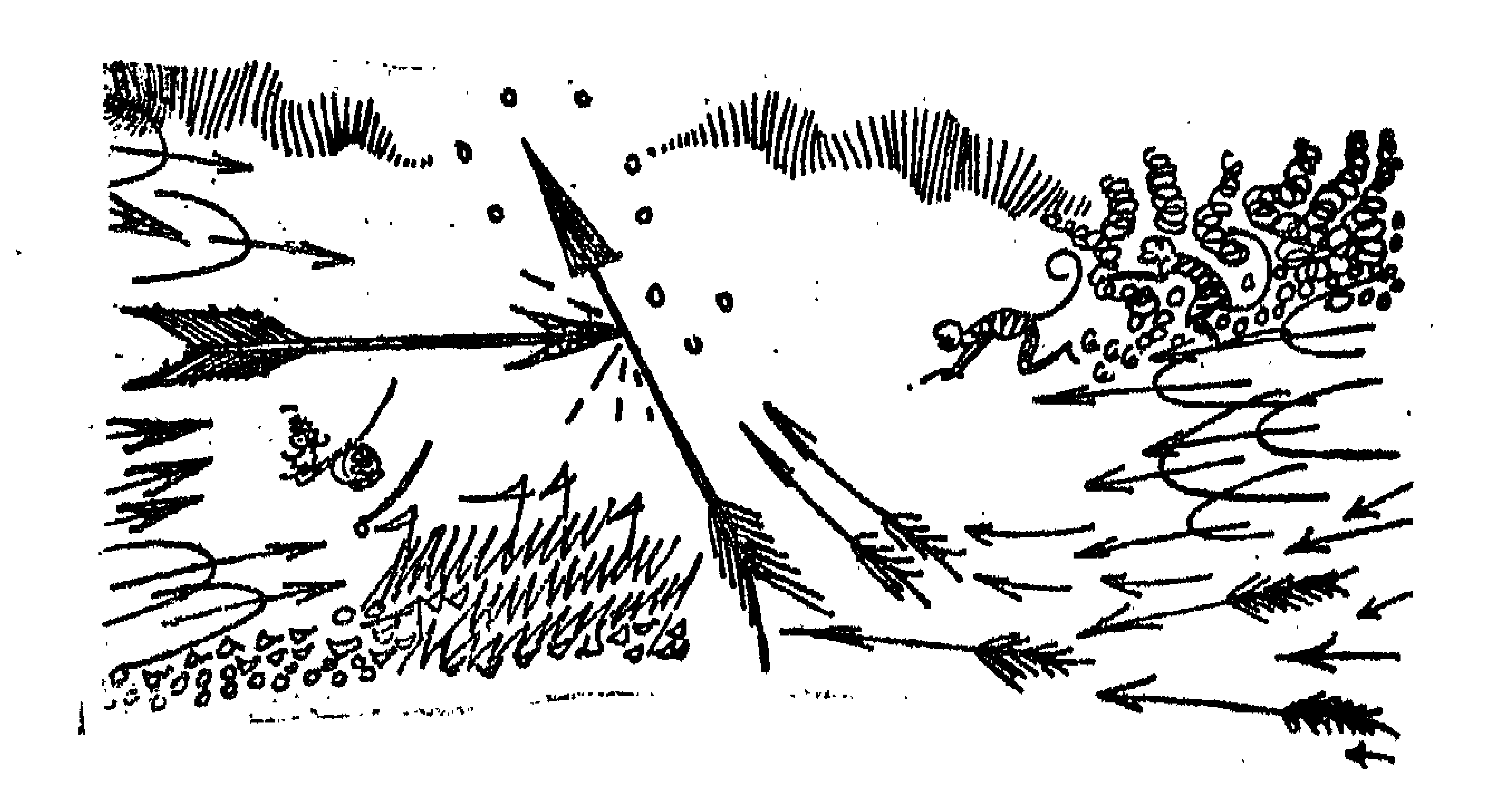
ولكن كيف استطاع ((**راما**)) ان يظل صامدا رغم هذا السحر ؟ ! لقد كان الفضل فى ذلك ((**لهانومان**)) الذى قفز ذهابا وايابا . فجاء بالعشب المضاد للرغبة فى النوم ، كان اسم ذلك العشب ((سانجيفانى)) الذى لا ينبت الا فى جبال الهيملايا ، ولقد تغيب ((**هانومان**)) بعض الوقت عن المعركة حتى عاد من الهيملايا بكمية من العشب تكفى لشفاء جيشه من مرض الرغبة فى النوم .

وفى تلك الأثناء كان ((**فيبهيشانا**)) قد اكتشف من أين وكيف بعد ((**اندراجيت**)) قواه السحرية ، كانت هـذه القوى مخبأة من أحد المعابد ، وبمجرد أن دمرها ((**فيبهيشانا**)) بدأ ((**لاكشمانا**)) يحارب ((**اندراجيت**)) رجلا لرجل .

حقد ((**اندراجيت**)) على عمه ((**فيبهيشانا**)) حقدا هائلا لأنه ساعد اعداءه فى كشف أسراره المخبأة ، لكن ((**اندراجيت**)) كان ماهرا ايضا فى استخدام القوس واطلاق السهام ، الا ان ((**لاكشمانا**)) كان امهر منه فى ذلك ، فظل يحاوره بالسهام حتى صرعة فى النهاية .

والآن .. لم يعد هناك الا ((**رافانا**)) وحده فى مواجهة ((**راما**)) .

عندما علم ((**رافانا**)) بموت ابنه ((**اندراجيت**)) حزن حزنا شديدا ، كيف أن ابنه الذى لا يقهر قد خر صريعا بسهام



« **لاكشمانا** » ؟ بالتأكيد هناك خيانه !! صرخ وعيناه متورمتان حزنا وتوترا وهزيمـــة :

ـ سوف أتقدم بنفسي لانتقم لموت ابني .

حاولت زوجته الملكة « **ماندوداوى** » أن تثنيه عن التقدم بعد أن أصابها العبوس واليأس والتشاؤم .. خاصـــة بعد أن صرع الأعداء ابنها « **اندراجيت** » ، لكن « **راقانا** » أزاحهـــا من طريقه غير عابىء بتحذيراتها ، طلب أن تجهز عربته بالسلاح ، ثم قفز الى عربته فاعتلاها ، واندفع بها الى ساحة المعركة .

عندما وقع بصر « **راقانا** » على « **رامـــا** » .. سحب قوســه وراح بثبات يطلق سيلا من السهام ، لكن « **رامـــا** » كان أمهر منه واســتطاع أن يبطل بســهامه كل سهام « **راقانا** » قبــل أن تصل اليه .

اصبحت ساحة المعركة مسرحا هائجــا للحقد والانتقــام المتوحش ، حتى الآلهة هبطوا الى هناك وراحوا يرقبون ما يدور بانفاس لاهثة .

وبعد يومين كاملين كان « **راقانا** » قد أرهق تماما ، وفى نهاية اليوم الثانى أطلق « **رامـــا** » سهما اصاب قوس « **راقانا** » فهشمه تماما .. وقذف بحطامه الى خارج العربة ، عند ذلك تأكد « **راقانا** » أن « **رامـــا** » سيهجم عليه ويقتله ، لكنــه سمع صوت « **رامـــا** » آتيــا اليه من بعيد بدوى بنبرات واضحــة الصـــدق :

ـ انى أرفض أن أقتل عدوا لا يملك ســلاحا ، تراجع الى

الخلف ((**يا رافانا**)) واسترح ، ثم قابلنى غدا بكل ما تملك من سـلاح .

ذهل ((**رافانا**)) من كرم ((**رامـا**)) وفروسيته ، لكنـه لم يفقد الأمل تماما فى أن يهزمه .

***

فى اليوم التالى تجددت المعركة أكثر شراسة ، لكن سرعان ما تأكد ((**رافانا**)) أن نهايته اقتربت ، فانه لم يستطع أن يتجنب سهام ((**رامـا**)) التى أصابت أجزاء عديدة من جسده وجعلته ينزف دمـا ويترنح فوق عربته ، عند ذلك أطلق ((**رامـا**)) نحوه سهما اخترق قلبه ومزقه .. فسقط ملك الراكشاسات من فوق عربته جثة هامدة .

وانفجر جيش الفانارات صائحين مهللين ، وفرحت الآلهة بتخلص الجنس البشرى من الخوف ، ورددت جنبـات الأرض أصداء الفرح ، وأقامت كل الشعوب صلواتها .. وقدمت قرابينها شكرا للسماء .

وانطلق حـامل الأخبـار السعيدة ((**هانومان**)) .. نحو ((**سـيتا**)) فأخبرها بموت ((**رافانا**)) ، لم تصـدق ((سـيتا)) أذنيها ، لكن الآخرين تقاطروا اليها بالنبأ ، فامتلأ وجهها الجميل فرحا بسلامة حبيبها ، ومع الدموع والنشيج والضحكات معـا راحت تربت يدى ((**هانومان**)) وتقول له :

عزيزى ((**هانومان**)) !! فلتباركك الآلهـة الى الأبد ، كيف استطيع أن اشـكرك ؟ كم من مرة حملت الى أخبـار حبيبى فأسعدتنى !! ولكن ! قل لى ، متى استطيع أن أرى ((**رامـا**)) ؟

أجابها ((هانومان)) بسعادة :

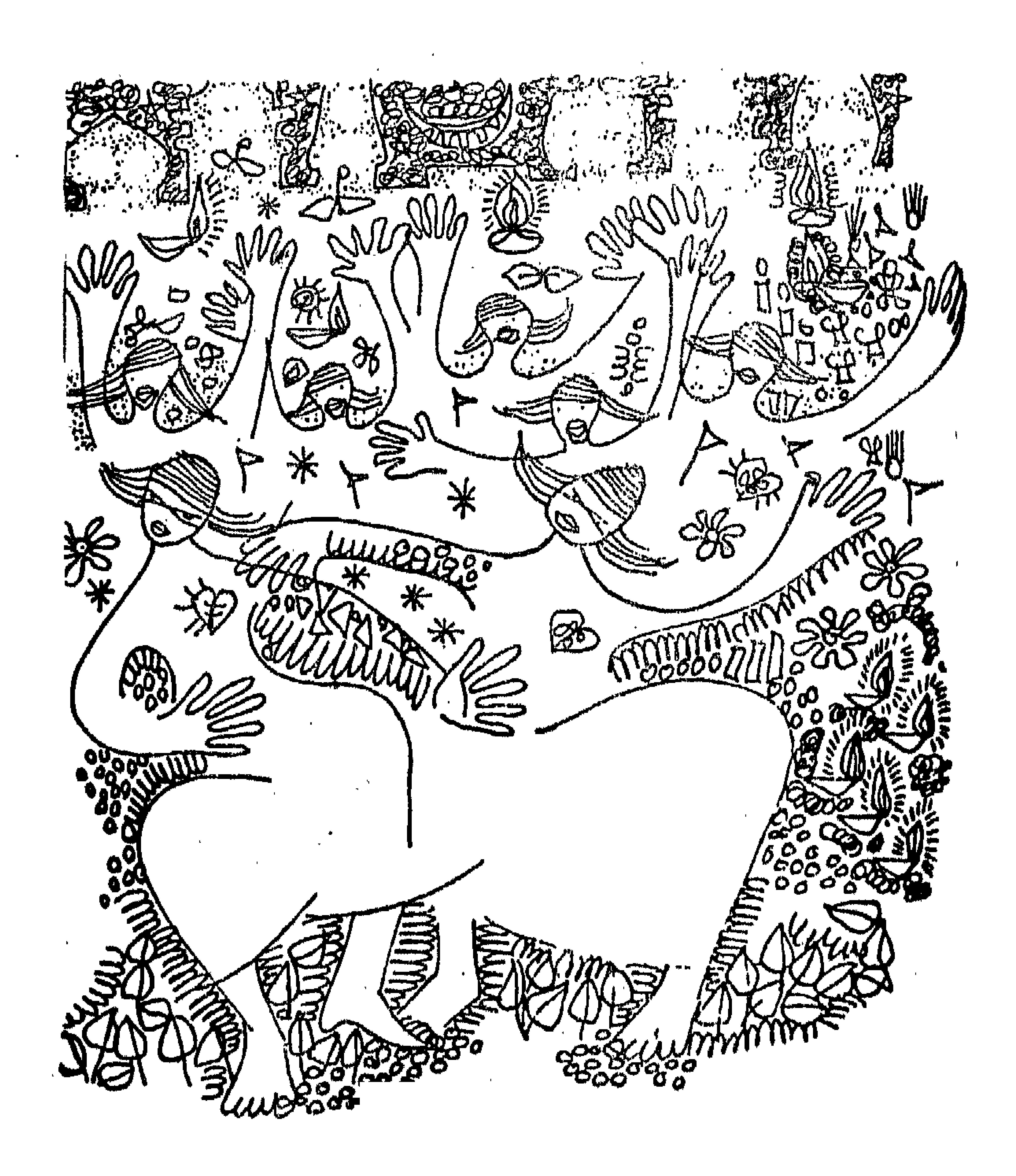
ـ هيا بنا فورا .

وأخذها الى حيث كان ((راما)) ، ما ان رأته من بعيد حتى راحت تحييه وهى تنتفض فرحا ، فاذا به يرد على تحيتها بفتور شديد ، ذهلت المسكينة ((سيتا)) ، اقتربت منه ، لماذا ينظر اليها بهذا الغضب المكبوت ؟ كانت تتوقع أن يلقاها بكل الشوق والفرح !! أن يضمها الى صدره !! أن يهدهد فى عينيها بقايا الخوف الطويل ، لكنه لم يفعل .

والحق أن ((راما)) كان يحبها حبا كبيرا ، لم يكن يفكر بالنهار والليل الا فيها ، لكنه عندما عثر عليها ، فجأة انفجر فى عقله الشك ، ترى !! هل ظلت وفيه له تماما كل هذا الوقت ؟ كان يعرفها جيدا ويجب الا يشك فيها لحظة واحدة ، لكنه فى النهاية ليس الا بشرا يمكن أن تتسلل الغيرة الى قلبه !!

وشيئا فشيئا استطاعت ((سيتا)) أن تحتل قلبه مرة أخرى ، لقد اقنعته بوفائها بأدلة قاطعة .. وبنبراتها الصادقة .. ودموعها .. وعينيها المترعتين حبا وشوقا الى لقائه ، وبذلك انقشعت عنهما السحابة القاتمة ، وعادت عيناه عاشقتين .. وجبينه منبسطا ، فعادت الى ((سيتا)) طمأنينتها وارتياحها القديم .

وقرر ((راما)) أن يتوج ((فيبهيشانا)) ملكا على لانكا ، ونفذ قراره فى حفل صاخب سعيد ، ثم سافر بخياله شمالا الى أيوديا ، لقد انتهت مدة نفيه التى امتدت أربعة عشر عاما .. ولابد أن اخاه ((بهاراتا)) فى انتظاره الآن .



استأذن أصدقاءه الفانارات .. واعدا اياهم بألا ينساهم أو ينسى بطولاتهم .. التى ستظل باقية ما بقى اسم ((**راما**)) .

ورحل معه ((**سوجريفا**)) و ((**هانومان**)) الى أيوديا ليحضرا حفل تتويجه .. كما صحبهم بعض أفراد الفانارات .

***

فى عربة ((البوشباكا)) طار ((**راما وسيتا ولاكشمانا**)) بخفة فوق المحيط .. ثم فوق الغابات الواسعة والأدغال ، وعلى امتداد الرحلة كان ((**راما**)) يحكى لحبيبته كل ما حدث الى أن عثر عليها :

انظرى الى أسفل ! هذا هو الجسر الذى أقامه لنا ((**فيبهيشانا**)) لنعبر اليك المحيط ، وهناك الى يسارك التل الذى التقيت فوقه لأول مرة بصديقى ((**هانومان**)) ، هل تذكرين ((**جاتايو**)) ؟ انظرى ! فى هذا المكان وجدته ميتا ، وفى هذا الوادى الصغير قتلت الغزالة الذهبية المشئومة .

كان صوته يزداد رقة وصفاء .. بينما ((**سيتا**)) تغمره بنظرات الحب ، وفجأة خطرت له فكرة جعلته يقطب ، نادى بعدها ((**هانومان**)) وقال له :

ــ ان ((**بهاراتا**)) يجلس على عرش أيوديا منذ سنوات طويلة .. وربما لا تسعده عودتى ، اذهب أنت وحدك أولا واختبر مشاعره نحوى قبل أن أصل اليه .

كان ((**بهاراتا**)) يكره حياة الثراء والرفاهية .. بينما أخوه ((**راما**)) يعانى من المنفى فى الغابة ، لذلك عاش فى قرية خارج

أيوديا خياة زاهدة ، كان يحكم المملكة من كوخ بسيط وليس من قاعة العرش ، ويحيا حيـاة متواضـعة لا علاقـة لها بحيـاة الملوك .

وفى صباح اليوم الذى عاد فيه ((رامـا)) .. استيقظ ((بهاراتا)) بين الشـك والأمل ، كان يعلم أن سـنوات النفى اكتملت فى ذلك اليوم ، وكان يتحمل الحياة بصعوبة ، فكلما مرت الأعوام دون أن يصـله أى خبر عن ((رامـا)) .. كان يغرق رويدا رويدا فى أعماق الضيق واليأس .

وفجاة ، راى ((هانومان)) يهبط أمامه من الفضـاء ، ذهل ((بهاراتا)) مما راى ، وقبل أن يستجمع أفكاره كان ((هانومان)) قد فجر أمامه خبر عودة ((رامـا)) فى سيل من الكلمـات السريعة المتلاحقـة ، وما أن انتهى ((هانومان)) من كلماتـه حتى كان ((بهاراتا)) قد أغمى عليه من صدمة الفرح .

حدق ((هانومان)) فى عينى ((بهاراتا)) وقال لنفسه ((كنت اظن أنه ليس هناك من يحب)) رامـا)) أكثر منى !! لكن هـذا الرجل يحبه أكثر)) !!

وعلم شعب أيوديا بعودة)) رامـا)) .. فشقت الفضـاء صيحات الفرح ، كانت المدينـة قد ماتت منذ أربعة عشر عاما .. ثم عادت الآن الى الحيـاة ، بدأ الشعب يزين كل الشـوارع والدروب والميادين ، انتشرت الأزهار والأنوار والزينات ، حتى اصبحت ايوديا مدينـة للفرح والضحكات والرقص والأغـانى .

ووقف)) بهاراتا)) مع الشعب يتطلعون الى السماء فى انتظار ((بوشباكا)) ، وعندما لاحت لهم المركبـة تحت السحاب .. رأوا)) رامـا)) يطل عليهم متألقا كالشمس الساطعة ، فتصاعدت اليه

التحيات هديرا من الرقص والهتاف .. بينما عقد ((**بهاراتا**)) يديه .. ورفعهما فوق رأسه فى هدوء وراح يتمتم باسم ((**راما**)) .

ولامست)) **بوشباكا**)) أرض أيوديا .. أطل ((**راما**)) باسطا ذراعيه بالتحية وقفز ((**بهاراتا**)) الى داخل العربة فعانق ((**راما**)) بدموع ساخنة دون أن يقوى على الكلام ، وجاءت ((**كوزاليا**)) أم)) **راما**)) ثم باقى الملكات .

بمشقة وبطء شديد استعاد ((**بهاراتا**)) القدرة على الكلام .. فحكى ((**لراما**)) كيف حكم باسمه كل تلك السنين ، ورجاه أن يغفر له أى تقصير فى حكم المملكة ، ثم توسل اليه أن يتسلم الحكم منه فى الحال .

تأثر ((**راما**)) بنبل أخيه ووفائه تأثرا ضمد جراحه وعوضه عن كل ما عانى بعيدا عن أرضه الطيبة .

وفى مهرجانات فرح باهرة لم تشهد لها أيوديا مثيلا من قبل .. توج ((**راما**)) وجلس بصحبة حبيبته على العرش .. بينما ((**هانومان**)) الوفى قائم على خدمتهما بحب عميق .

ونهضت ((**سيتا**)) فى حياء من على مقعد الملك .. وقدمت)) **لهانومان**)) عقدا بديعا من اللؤلؤ .. ثم لفته بيديها وربطته حول عنقه .

بذلك بدأت فترة حكم ((**راما**)) المجيدة ، تلك التى تحتفل بها الهند فى عيد قومى كل عام .. يدعى ((**راماراجيا**)) .

ولقد كان ((**راما**)) حقيقة ملكا مثاليا .. حكيما وعادلا ورحيما ، وهو الذى أسس ما نسميه الآن « حكم القانون » ، كل



كل مواطن من أهل الهند فى عهد ((**راما**)) ـ من اعلى الطبقات الى أدناها ـ كان يؤدى واجبه بسرور .. بارشاد الملك ومستشاريه من النساك الطيبين المخلصين .

هكذا أقام ((**راما**)) مثلا رفيعا لنظام الحكم .

ومع مرور الزمن وتوالى السنين .. نمت الأسطورة وانتشرت وشقت طريقها الى كل بقاع الهند ، تلك الأسطورة التى تقول : ان ((**راما**)) هو الاله بعد ان تجسد فى صورة انسان ، وقد هبط من السماء ليحمى الخير ويعاقب الشر ، ويؤسس على كوكبنا مملكة سعيدة للانسان .. مملكة يعمها العدل والحب والخير والسلام .

((**تمت**))

خاتمـــة

عزيزى القارىء العربى :

والآن ....

هل يدهشك أن يكون الانسان هكذا محبا وخيرا ونبيلا مثلما كان رامـــا ؟ !

وإن يكون الصديق وفيا مثلما كان سوجريفا وهانومان ؟

وأن يكون الأخ رائعا مثلما كان بهاراتا ولاكشمانا ؟ !

لكن الانسان المتأمل فى هـــذا الكون الغامض الرائـــع .. والمنصت لموسيقاة القادمة من أعمق أعماق الوجود .. يستطيع ــ كما قال العظيم تاجور ــ أن يلتحق بالركب ويشارك فى النشيد ، تماما مثلما حدث فى هذه الملحمة .. عندما قدم منشئها « فالميكى » بطلها رامـــا مثالا للانســـــان .. الانسان الذى يمكنـــه بالحب أن ينتصر على الخوف والشك والكراهية ، فيصبح أكثر انسانية .. وإكثر استحقاقا لمنحة الوجود .

المترجم

الفهـــرس

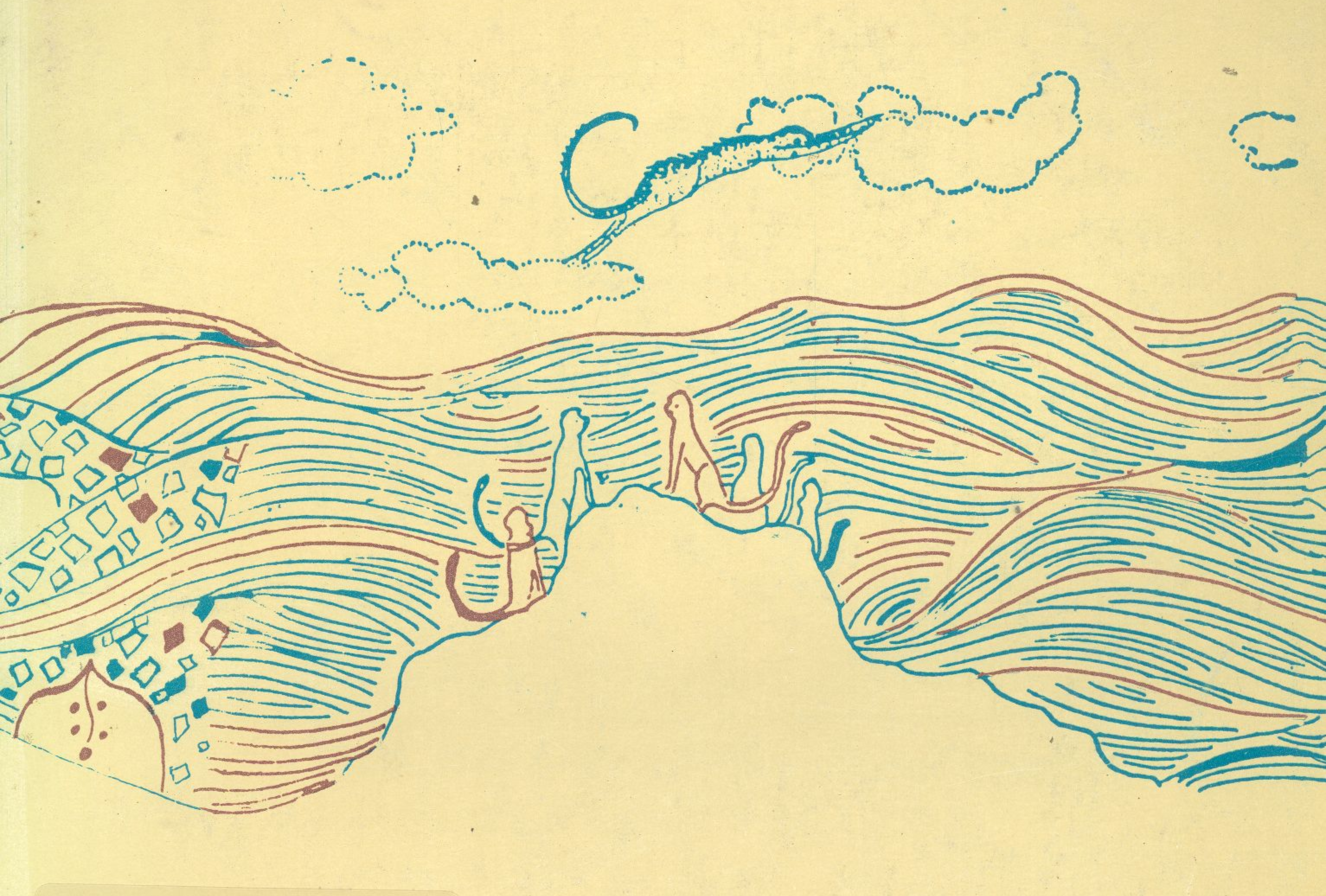
الصفحة

١٥٠ نسخة

رقم الايداع ٧٤٨٨/ ١٩٩٠

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 — 2548 — 2

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



●● لعل من مظاهر الثقافة الرفيعة فى هذا العصر أن يلمّ المثقف بملاحم الشعوب ، ذلك لأن إغراق هذه الملاحم فى القدم ، يلقى الضوء على الأعماق النفسية لمختلف المجتمعات الإنسانية عبر العصور ، تلك الأعماق التى تظل فعالة التأثير فى مجتمعاتها حتى أيامنا الحاضرة .

وفى هاتين الملحمتين تفسيرات ساطعة لكل ما تفخر به الهند المعاصرة من روحانيات وقيم ، ومن سعى دائب صادق لنشر الأخوة والسلام بين كل أجناس البشر .

١٧٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية